AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية وطنية ديمقراطية بهوية يسارية

# عائدون

الهدف الرقمي - فلسطين العدد (2) - أيار/مايو 2019

الهدف
AL-HADAF

# تسقط الأجساد... لا الفكرة

## ابو صالح القطاوي
## صلاح محمد
## رياح معنا

# الهدف AL-HADAF

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف الرقمي - فلسطين العدد (2) - أيار/مايو 2019

المشرف العام
كايد الغول

رئيس التحرير
د. وسام الفقعاوي

مدير التحرير
سامي يوسف

تحرير وتنفيذ
أحمد.م.جابر



يسمح النقل وإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.



عناوين بوابة الهدف
غزة- بجوار مستشفى الشفاء-
نهاية شارع الثورة
الهاتف
082836472
البريد الالكتروني
info@hadfnews.ps



تصدر عن بوابة الهدف الإخبارية


## في هذا العدد


التطبيع.....أبو علي حسن.....6
رباح مهنا في عيون محبيه .....بيسان الشرافي.....8
تسريبات بالون الاختبار.....محمد السعيد ادريس..17
ماذا وراء اللوحات الإعلانية ..... فاتن لولو.....18
تسويق النكبة.....موسى جرادات..20
مقاتل في فلسطين.....عبد الله السناوي...22
من سايكس بيكو إلى صفقة القرن.حاتم استانبولي.26
نكبة أم مظلمة.....محمد صالح التومي....28
نتنياهو وحكومته الخامسة.....كميل أبو حنيش.....30
الأزمة بين أمريكا وإيران إلى أين.....يوسف مكي.....34
على نفسها جنت براقش.....علي جرادات...36

الهدف الثقافي
الافتتاحية:.....37
النكبة: الرمز والبروباغاندا.....مروان عبد العال.....38
مراجعة رواية «طفل البسطة» .....بسام سفر .....42
عن الثور الذي سرق جزمة الكنغر.....بدر عثمان.....45
مفهوم العلمانية (3)..... د. وسام الفقعاوي...46
عن محسنة توفيق.....أحمد بدير.....50


المقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي كتّابها وليس بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

**لوحتي الغلاف الأول والثاني للفنانة إسراء الصمادي**

## كلـــــــــمة

يصادف هذا العدد الذكرى الحادية والسبعين لنكبة فلسطين، ومع صدوره نودع ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية، قادة وطنيين كبار خطوا مسيرة مجيدة في الكفاح في سبيل حقوق شعبهم، الرفاق رباح مهنا وصلاح محمد، وعلي القطاوي (أبو صالح)، ويشرفنا أن نهدي هذا العدد لأرواحهم الباسلة.

و تأتي هذه الذكرى في وقت يقف الشعب الفلسطيني وظهره إلى الحائط، مستبسلا في نضاله رافضا الاستسلام.

أن يرفض الشعب الاستسلام، أمر تاريخي، وطبيعي وينسجم مع طبيعة الأشياء، ولكن ما هو غير طبيعي، هو الانهيار الذي أصاب الواقع العربي فجعله يقرر ترك الفلسطينيين وحدهم، فلا تجد في هذه الأنظمة العربية إلا صامتة في أحسن الأحوال، ومتآمرة منغمسة في الجريمة في أسوئها، وبينهما من يتحرك على محور الحياد ويتصرف كأن الصراع بين طرفين غريبين وهو يقوم بمساعيه من أجل السلم العالمي والحفاظ على البيئة. إن هذا البؤس المتجلي في الانحدار المتسارع نحو التطبيع، بل وأكثر ما كشفته الصحافة عن عرض سعودي إماراتي لترامب يتمحور حول إخضاع الفلسطينيين، وصب المال في مشروع ترامب، إنما يعكس إننا فعلا أمام مرحلة من التعفن التاريخي الذي لا بد كما يقول ماركس أن تنجلي عن أفق جديد ينظف العالم من كل هذا البؤس.

# النكبة.. كيف تتجدد؟

رغم مرور واحد وسبعين عامًا على ما حل بشعبنا الفلسطيني من تهجير وتقتيل وتدمير لقراه ومدنه واحتلال لأرض وطنه، لا يزال مفهوم «النكبة»، خاضعًا للتشريح اللغوي بأبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية لجهة انطباقه على ما حل وجرى، وما ترتب عليه من نتائج لا زالت قائمة، ويشهد عليها ما يزيد عن سبعة ملايين من الفلسطينيين مشتتين في أربعة أرجاء الأرض، وأقل منهم بقليل يرزحون تحت نير الاحتلال الاستيطاني الإحلالي.

فاجعة، نازلة، مصيبة، محنة، كارثة.. جميع هذه المعاني يحتملها مفهوم «النكبة»، وكل ما حل بالشعب الفلسطيني هو كذلك حقًا، لكن هل هذا فقط ما كان يقصده من أطلق هذا المفهوم من خلال كتابه الذي حمل عنوان: معنى النكبة..!

يقول الدكتور قسطنطين ازريق في مقدمة كتابه، الذي كتبه بعد أشهر معدودة من هزيمة 1948: «لست أدعي أني، في هذه الدراسة المقتضبة لمحنة العرب في فلسطين، قد اخترعت البارود، أو بلغة هذا العصر: القنبلة الذرية، أو أني اكتشفت الدواء الشافي لعلّاتنا جميعًا. وإنما هي محاولة لتصفية تفكيري، في هذه الأزمة الخانقة التي يترتب فيها على كل فرد من أفراد الأمة قسطه من الواجب ونصيبه من التَبِعَة. ولا شك في أن أول شرط لحسن القيام بهذا الواجب صحة الفكر واستواء الخطة».

لو أردنا تكثيف المقتبس من مقدمة كتاب: معنى النكبة، لقلنا إننا لسنا بحاجة لأكثر من النزاهة في التفكير كي نفسر المقدمات التي أسست لتلك «النكبة» وما ترتب عليها بعد هذا العمر الطويل من الصراع، بما يضعنا أمام ترتيب للمسائل انطلاقًا من أسس صائبة وفي مقدمتها وحدة المعايير واللغة واكتمال مساحة البحث بحيث تشمل «إسرائيل» ذلك التناقض الأساسي، الذي جرى تمويهه بخطوط الهدنة، وبنهج التسوية، وصولًا لدرجة محاولة تغييبه بالتطبيع الرسمي العربي، بحيث نفقد بذلك القاسم المشترك، والمعيار الموضوعي الذي لا مجال لقياس صائب لصحة التفكير دونه.. ولنا حينها أن نسأل: كيف تتجدد النكبة؟

تغييب أو تمويه أو غموض مفهوم العدو سيفضي بالضرورة إلى التشويش على مفهوم الصراع وطبيعته وجوهره وشروطه، وصولًا إلى خداع ذاتنا باستبدال التناقض الأساسي بالتناقض الثانوي، هنا نجد أنفسنا فلسطينيًا نصطدم «بالانقسام»، وعربيًا نصطدم «بإيران»، وحينها تنقلب كل الأولويات، ونستبدل السؤال الصواب الصعب بالسؤال الخطأ السهل: هو عن مستوى أدائنا نحن -عرب وفلسطينيين- بالمقارنة مع مستوى وأداء التناقض الأساسي الدائم والثابت: «إسرائيل»، حينها ندرك معنى النكبة.

بمعنى آخر، ليس مطلوبًا منا أن نبقى قُصر في التفكير، بما يعني تمادي الفجوة بيننا وبين العدو، واستمرار ابتلاعنا في لجة الأزمات، وفقدان التوازن الاجتماعي، وسحق منظومة المفاهيم والأفكار والقيم الوطنية، والسير إلى الخلف، والتقدم نحو الهاوية.

يبقى أن نقول بأن تجاوز «النكبة» وإخضاعها للتشريح السياسي والاجتماعي والثقافي بهدف تجاوزها، مرهونًا بأن لا نسمح بأي حال من الأحوال بأن تحتل إرادتنا من بوابة احتلال عقولنا التي يجب أن تبقى متقدة بسؤال مُبرر دائمًا لشعب وأمة تخوض معركة وجود ومصير، وهو: كيف لنا أن نتجاوز «عقدة» الهزيمة/النكبة، كي لا تبقى تتجدد؟

كل الحقيقة للجماهير

# في ذكرى النكبة:
# الشعبية تؤكد على وحدة شعبنا والتمسك بحقوقه التاريخية

يا أبناء شعبنا في الوطن ومواقع اللجوء..
يا أبناء أمتنا العربية
يا كل أحرار العالم:

واحدٌ وسبعون عامًا تمر على أكبر جريمة منظمة ارتُكبت بحق شعبنا الفلسطيني، الذي تعرض للتهجير القسري، والتطهير العرقي، وتدمير قراه ومدنه، ونهب حقوقه، وضرب وجوده المادي على أرض وطنه، واحتلاله وسلبه بإقامة دولة للكيان الصهيوني الاستعماري الإحلالي العنصري.

واحد وسبعون عامًا، ولا تزال فصول الجريمة تتجدّد باستمرار الاحتلال وعدوانه المتواصل على شعبنا وحقوقنا ومقدراتنا، هذه الجريمة التي بدأت فصولها منذ القرن التاسع عشر وترسّمت في القرن العشرين من خلال اتفاقية سايكس بيكو التقسيمية، ومن ثم وعد بلفور وقرارات عصبة الأمم وقرار التقسيم (181) الصادر عن الأمم المتحدة، والذي تأسست عليه «شرعية» إقامة الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي وعلى أرضنا الفلسطينية، لتغدو هذه الجريمة بحقّ «جريمة القرن» آنذاك، التي رعاها الحلف الاستعماري الإمبريالي الغربي بقيادة بريطانيا؛ واليوم وبعد مرور قرن من الزمان على اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور، وواحدٌ وسبعين عامًا على إقامة الكيان الصهيوني يريد ذات الحلف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، إنهاءَ فصول هذه الجريمة المنظمة، بجريمة منظمة جديدة تشكل امتدادًا لها، من خلال السعي الحثيث لتطبيق المشروع التصفوي المسمى «صفقة القرن» على أرض الواقع، بأهداف وإجراءات باتت معلنة وواضحة؛ جوهرها تكريس وتشريع وجود الكيان الصهيوني بالتطبيع العربي، وحفظ أمنه، وضمان توسعه، وتأكيد مركزيته في «منطقة الشرق الأوسط»، كل ذلك على حساب الحقوق العربية ومنها الفلسطينية التي يجري العمل على الإجهاز عليها وتصفيتها.

إن المشروع الإمبريالي الأمريكي، والمُتبني للرؤية الإسرائيلية للصراع والمخططات التي يجري تطبيقها على الأرض، يفرض إعادة الاعتبار لطبيعة وجوهر الصراع مع العدو الصهيوني من جهة، ومركزية القضية الفلسطينية من جهة أخرى، باعتباره مشروعًا استعماريًا يستهدف الأمة العربية وأرضها ووحدتها وحقوقها وثرواتها ومستقبل أجيالها، وبما هو صراعٌ تاريخي وشامل ومفتوح بين الأمة العربية جمعاء والحلف الإمبريالي الصهيوني الغربي، يقف الشعب الفلسطيني رأس حربة في مواجهته، وهذه الحقيقة التي لا يجب أن تتوارى أو تغيب رغم تردي وبؤس الواقع العربي ومنه الفلسطيني، وهذه أيضًا مهمة رئيسية مناطة بكل القوى الوطنية والقومية التقدمية وحركات التحرر في الوطن العربي، التي يقع على كاهلها مهمة استنهاض الأمة العربية وشحذ هممها وتحشيدها في ساحة المعركة المصيرية مع العدو الصهيوني، وذلك من بوابة استنهاض دورها وتحقيق وحدتها واستعادة مكانتها والقيام بوظيفتها الوطنية والقومية التحررية والديمقراطية.

أبناء شعبنا وأمتنا..

واحدٌ وسبعون عامًا مرت على «نكبة» شعبنا الفلسطيني، ورغم كل الصعوبات السياسية والوطنية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية القاهرة، التي يعيشها داخل الوطن المحتل وفي مواقع اللجوء والشتات، لا يزال شعبنا متمسكًا بأرضه وحقوقه وثوابته، ويقدم كل يوم التضحيات العظيمة على طريق تحقيق حريته واستقلاله وعودته، وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس على كامل ترابه الوطني.

فالمطلوب اليوم، من قيادة وأحزاب وقوى هذا الشعب المكافح والمضحي، أن ترتقي لمستوى المهمة والمسؤولية التاريخية المنتصبة أمامها، والتي تتطلب دون تردد الإقدام نحو تحقيق الوحدة الوطنية الحقيقية، المبنية على إستراتيجية شاملة تحفظ حقوق وأهداف ومقدرات شعبنا الثابتة والتاريخية، والتخلي عن نهج التسوية ووهم المفاوضات المستمر من جانب، ومن الجانب الآخر وهم التهدئة والتفاهم مع العدو كمدخل لحل مشكلات شعبنا في قطاع غزة التي سببها أساسًا العدوّ ذاته. فالأولوية يجب أن تكون للحوار والاتفاق الفلسطيني الداخلي وإنهاء فصول من الصراع والانقسام البغيض، الذي يتحمل طرفيه مسؤولية رئيسية فيما وصل إليه واقع الحال الفلسطيني.

أبناء شعبنا الفلسطيني المكافح..

إنّ مهمة وأولوية أن يبقى الصراع متقدًا ومستمرًا على طريق تحقيق الأهداف الوطنية في الحرية والعودة والاستقلال، تبدأ بحفظ الرواية التاريخية الفلسطينية، والمَظلمة التي تعرض لها شعبنا على مدى أكثر من قرن من الزمان، والاستمرار في حمل راية الكفاح الوطني جيلًا بعد جيل، وفتح دروب جديدة في أشكال النضال والمواجهة مع عدونا الصهيوني الاستعماري، على طريق تكبيده الخسائر، الواحدة تلو الأخرى، على طريق هزيمته ورحيله عن أرضنا.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهي تتوجه بالتحية والتقدير لعموم شعبنا الفلسطيني في داخل الوطن ومواقع اللجوء والشتات، وبعهد الوفاء بالمضي قدمًا على درب الشهداء والأسرى، درب النضال والكفاح الوطني الذي يقدم الأهداف والمصالح العليا لشعبنا وأولويتها على ما عداها، تدعو لأوسع مشاركة شعبية في الفعاليات والأنشطة الوطنية التي دعت لها اللجنة الوطنية العليا لإحياء ذكرى النكبة، والهيئة الوطنية العليا لمسيرات العودة، وجعل هذه الذكرى الأليمة عنوانًا لتأكيد وحدة شعبنا وأهدافه الوطنية.

عاش كفاح ونضال شعبنا على طريق تحقيق حقوقه التاريخية عهدًا ووفاءً لشعبنا أن نبقى نرفع رايات وحدته ومقاومته والانتصار لحقوقه

المجد للشهداء.. الحرية للأسرى

وإننا حتمًا لمنتصرون

# بيان سياسي صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

عقد المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سلسلة اجتماعات في الأيام الماضية، توقف خلالها أمام العديد من القضايا والملفات على الصعد الدولية والعربية والفلسطينية.

على الصعيد الدولي، رأى خطورة السياسات العدوانية للإدارة الأمريكية، حيث تعمل وبكل طاقتها وقوتها على أن تبقى الولايات المتحدة قوةً أولى ومهيمنة على النظام الدولي، دون أن ينافسها أو يهددها أحدٌ على هذا الموقع؛ من خلال شن حروبها المختلفة في أربعة أرجاء الأرض، أبرزها في الوقت الحالي ضد فنزويلا وإيران والصين وروسيا، ومنها على نحوٍ أشدّ الحرب الاقتصادية وأحد أدواتها فرض الحصار عليها، في محاولة منها لإضعاف وتقويض هذه الدول من الداخل على طريق الحد من قدراتها وتطلعاتها، أو تحييدها عن منافستها، أو جعلها تدور في فلكها أو إسقاطها من الداخل.

ولقد أثبتت مجمل تجربة الإدارات الأمريكية السابقة والحالية برئاسة ترامب على وجه الخصوص، بأنها لا تقيم وزنًا لا من قريب أو بعيد إلى الأمم المتحدة ومجلس أمنها، ولا لشرائع وقوانين ومواثيق دولية، ولا للاتفاقيات بين الدول، وعبرت عن ذلك من خلال انسحابها من العديد من تلك الاتفاقيات من طرف واحد، وضربها للكثير من القرارات الأممية المتعلقة بحقوق الدول وسيادتها عرضَ الحائط، وكل ذلك يأتي في سياق تأكيد الشعار الذي أطلقه ترامب «أمريكا أولًا».

وفي مواجهة هذه السياسة العدوانية، التي يؤكد المكتب السياسي للجبهة على إدانته لها، وعلى حق الشعوب والدول المستهدفة في مواجهتها حفظًا لحقوقها وسيادتها وثرواتها وتقرير مصيرها بيدها، وعلى تضامنه الكامل مع الشعوب والدول التي تستهدفها السياسة العدوانية الأمريكية تلك، ووقوفه الكامل إلى جانبها، تتطلب من القوى والأحزاب التقدمية والديمقراطية في العالم إلى اتخاذ مواقف مشتركة لمواجهة هذه السياسة الإمبريالية العدوانية.

وفي السياق ذاته، وجه المكتب السياسي التحية والتقدير للموقفين الروسي والصيني، الداعميْن لشعبنا وحقوقه المقرّة من قِبل الشرعية الدولية، في الدولة وتقرير المصير.

أما على الصعيد العربي، حذر من التداعيات الخطيرة الناجمة عن واقع النظام الرسمي العربي الذي يمر بأضعف حالاته، والمرشح للتفكك والانهيار من داخله، بفعل الصراعات والانقسامات والتجاذبات الكبيرة بين أقطابه المختلفة؛ مما يعني بقاء هذا النظام في حالة من التآكل الداخلي على طريق التفكك؛ وتزداد الخطورة مع حجم وطبيعة التدخلات والمهددات الدولية والإقليمية، التي تعمل على استمرار استنزاف ثرواته ومقدراته ومصالح ووحدة شعوبه، ويبرز ذلك من خلال: سوء العلاقات الداخلية، والحروب البينية، وتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومصادرة الحريات الشخصية والعامة، وانتشار التنظيمات الإرهابية والقوى المتطرفة، والفوضى وغياب الأمن، والانقسامات المذهبية والطائفية والإثنية، وغيرها من المخاطر الجدية التي تهدد النظام العربي ككل، وكذلك كل دولة على حدة.

في ضوء هذا الواقع، وفي ظل تراجع الدول المركزية على صعيد الوطن العربي، برز الدور الفاعل لدول الرجعية العربية، الخاضعة والتابعة للإمبريالية الأمريكية، وعلى وجه الخصوص بعض أنظمة الخليج التي تشن حربها العدوانية ضد اليمن ودول عربية أخرى، وتعمل باستمرار على إذكاء الصراعات والانقسامات ودعم قوى الإرهاب والتطرف في المنطقة، جنبًا إلى جنب مع فتح الأبواب لنسج علاقات سرية وعلنية مع الكيان الصهيوني، وتطبيعها سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وثقافيًا ورياضيًا وإعلاميًا..إلخ؛ على طريق تشريع هذا الكيان ووجوده على الأرض العربية الفلسطينية، وبما يخلق أرضية مناسبة لتنفيذ ما يسمى «صفقة القرن»، يكون الأساس فيها تصفية حقوق شعبنا وتطلعاته في الحرية والعودة والاستقلال والدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

كما تزداد الخطورة من خلال حرف الصراع عن بوصلته الرئيسية مع العدو الصهيوني وذلك من خلال «شيطنة» قوى المقاومة الفلسطينية والعربية، مرورًا بضرب فكرة المقاومة ذاتها وجدواها في التعامل مع المشروع التصفوي الصهيوني الأمريكي الذي يواجهه الوطن العربي، وبما يكرس ذهنية ومقولة «حتمية الهزيمة»، وصولًا إلى اعتبار إيران هي العدو وليس الكيان الصهيوني الذي يحتل أرضنا ويشرد شعبنا ويسرق ثرواتنا ويهدد كامل منطقتنا.

وفي مواجهة هذا الواقع العربي، يؤكد المكتب السياسي أنه لا خيار أمام القوى الوطنية والقومية العربية التقدمية وقوى المقاومة كافة، سوى أن تسارع للتوحد والتكتل في جبهة عربية واحدة، لمواجهة القوى الرجعية التي تقدم مصالحها الشخصية والطبقية الخاصة على مصالح وتطلعات شعوبنا العربية، وصوغ برنامج واضح وجديٍّ لمواجهة أشكال التطبيع كافة والقائمين عليه، ولتعزيز أشكال مقاومة ومقاطعة الكيان الصهيوني على مختلف المستويات.

وفي السياق هذا، يتوجه المكتب السياسي للجبهة بالتحية والتقدير

إلى الشعبين السوداني والجزائري، الثائريْن من أجل الحرية والتغيير والديمقراطية والعدالة والمساواة في بلديهما، وتحقيقهما إنجازات مهمة على هذا الطريق، محذرًا القوى الشعبية الثائرة في هذين البلدين الشقيقين من كل المحاولات الهادفة إلى الانقضاض على ثورتيْهما بثورة مضادة كما حصل فيما سُمي بثورات «الربيع العربي». كما يتوجه المكتب السياسي بالتحية والتقدير لكل قوى المقاومة والممانعة في المنطقة، وخاصة سوريا وإيران وحزب الله والمقاومة الفلسطينية، على مواقفها الرافضة للرضوخ لمشيئة الإدارة الأمريكية، ومواجهتها للمشروع الهادف إلى إخضاع المنطقة كاملة لغاياته وأهدافه، ويؤكد بأن الموقف الموحد لهذه القوى والعمل بموجبه سيشكل سدًا منيعًا أمام هذا المشروع واستهدافاته.

كما يثمن المكتب السياسي موقف مصر وشعبها الشقيق الرافض لما أعلن أمريكيًا حول اقتطاع جزء من أراضي سيناء لإقامة دولة للفلسطينيين عليها، وكذلك موقف الأردن وشعبه الشقيق الرافض لصفقة القرن، ولفكرة الوطن البديل والتجنيس للفلسطينيين اللاجئين على أرضه، والبناء على ذلك في التصدي الجمعي لصفقة ترامب ولكل المحاولات الأمريكية التي تعمل على الدفع بمصر والأردن لتكونان جزءًا منها.

أما على الصعيد الفلسطيني، رأي المكتب السياسي أن القضية الوطنية وحقوق شعبنا باتت تتعرض لخطر التصفية أكثر من أي وقت مضى، وذلك في ضوء بيئة النظام الدولي المُهيّمَن عليه أمريكيًا والمُتبني كليًا للمخططات والسياسات الإسرائيلية، وطبيعة بيئة وبنية النظام الرسمي العربي واتجاهاته الرئيسية المُشخّصَة في المرحلة الحالية، مع استمرار حالة الانقسام والصراع فلسطينيًا، وفي ضوء بدء تطبيقات ما يسمى «صفقة القرن» التي طالت (قبل إعلانها) الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة للكيان الصهيوني، واستهداف قضية اللاجئين والأونروا، ودعم الكيان الصهيوني لضم أكبر مساحة ممكنة من أراضي الضفة الغربية، على غرار ضم الجولان العربي السوري. عدا عن دعمه في التنكر للحقوق الفلسطينية، وتجاهل الشرعية الدولية وقراراتها ذات الصلة بحقوق الشعب الفلسطيني، والتوسع الاستيطاني في أراضي الضفة والعدوان على مدنها وقراها قتلًا واعتقالًا وهدمًا لمنازلها، وتسريع وتائر تهويد القدس ومحاولة تفريغها من أكبر عدد من سكانها الفلسطينيين، واستمرار حصار قطاع غزة، ومحاولة فصله التام عن الضفة، والاستفراد به وتصعيد العدوان بحقه كما جرى في العدوان الأخير عليه، الذي أوقع عشرات الشهداء والجرحى بالإضافة إلى الخسائر المادية الكبيرة.

إن تصاعد وتائر العدوان على وقع المشروع الصهيوني الأمريكي التصفوي المسمى «صفقة القرن»، لا يمكن مواجهته باستمرار الانقسام والتنكر للمصالحة وضرورة الوحدة؛ فليس هناك أهم من مواجهة هذا الخطر الداهم، من خلال معالجات جدية ترتقي لمستوى مشروع التصفية الذي تتعرض له قضيتنا الوطنية، والمسؤولية التاريخية إزاء ذلك، والملقاة على عاتق كل القوى السياسية والمجتمعية الفلسطينية، تتطلب من الأخ الرئيس محمود عباس على وجه الخصوص الإسراع في دعوة لجنة تطوير وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية لعقد اجتماع عاجل لها؛ تتوقف خلاله أمام المشروع التصفوي وطرق ووسائل مواجهته، بإستراتيجية موحدة وشاملة، تستثمر كل مقومات ومكونات القوة الفلسطينية، وتحشد معها كل القوى العربية والأممية

الرافضة لهذا التغول الإمبريالي الصهيوني، ومن شأن ذلك أن يشكل مدخلًا مناسبًا لإنهاء الانقسام وإتمام المصالحة وتحقيق الوحدة الوطنية المبنية على اتفاقات الإجماع الوطني، وعلى أسس الشراكة السياسية الكاملة، وينهي عقودًا من التفرد والهيمنة والاستئثار في المؤسسات الوطنية.

وإلى جانب ذلك، يدعو المكتب السياسي قوى شعبنا السياسية والمجتمعية إلى العمل معًا من أجل عقد لقاءات وطنية ومؤتمرات شعبية في الوطن ومواقع اللجوء، تعلن من خلالها وحدة شعبنا الفلسطيني ورفضه القاطع لصفقة القرن، وأن يجري خلالها توقيع ميثاق شرف يُلزم الجميع بالتوحد خلف ذلك، وعدم تقديم التناقضات الداخليه على التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني ومخطط التصفية الأمريكي. وعليه فإن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهو يؤكد على التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلًا شرعيًا ووحيدًا لشعبنا، وعلى ضرورة الحفاظ عليها من خلال إصلاحها وإعادة هيكلة مؤسساتها ودوائرها، على أسس وطنية وديمقراطية، تعيد الاعتبار لها وتعزز من مكانتها ودورها الوطني التحرري والمجتمعي الديمقراطي، فإنه يرى في الدعوة لعقد اجتماع للمجلس المركزي الفلسطيني خلال هذا الشهر خطوة تتناقض وتتعاكس مع المطلوب عاجلًا، من ضرورة لتحشيد كل القوى في مواجهة صفقة القرن وأهدافها التصفوية، كما أنها لا تأخذ طبيعة وجدية الخطر الوجودي المنتصب أمام قضيتنا وشعبنا وحقوقه الوطنية، والذي يتطلب تجنب أية خطوات من شأنها تعزيز الشرذمة والانقسام واستمراره في الساحة الفلسطينية.

كذلك، توقف المكتب السياسي أمام استمرار مصادرة حقوق الجبهة المالية من الصندوق القومي الفلسطيني، الذي يتواصل منذ 18 شهرًا، وأكد على إدانته هذه السياسة، القديمة الجديدة، واعتبرها تجاوزًا ومصادرة لصلاحيات المجلس الوطني، الذي أقر هذه الحقوق لمختلف القوى المنضوية في إطاره، وتعكس تغولًا للقرار الفردي على قرار المؤسسة ومكوناتها.

وشدد المكتب السياسي على أنه عمل خلال الفترة الماضية على معالجة حقوق الجبهة المالية بعيدًا عن الإعلام، ومن خلال التواصل مع اللجنة التنفيذية للمنظمة، والصندوق القومي، واللجنة المركزية لحركة فتح، وفصائل العمل الوطني، إلا أن كل ذلك لم يُجد نفعًا، إذ يبدو أن وهم الابتزاز لَلجبهة ومواقفها لا زال الدافع لصاحب القرار، رغم أنه يدرك يقينًا ومن واقع تجربته أن الجبهة ومواقفها لا تخضع للمساومة والابتزاز؛ فالمصلحة الوطنية وحقوق شعبنا ومواجهة الاتفاقات والسياسات الضارة بها بالنسبة للجبهة لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال خاضعة للمساومة والابتزاز.

كما دعا المكتب السياسي جميع الأطراف الوطنية المعنية، وفي المقدمة منها اللجنة التنفيذية للمنظمة واللجنة المركزية لحركة فتح، إلى وقف هذا التعدي على حقوق الجبهة، وكذلك حقوق الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، التي عوقبت هي الأخرى على مواقفها الوطنية، ووقف سياسة التفرد بالمؤسسة الوطنية (م.ت.ف) وقراراتها، حماية لها ولوظيفتها ودورها التمثيلي الذي نؤكد عليه وعلى ضرورة تعزيزه بالشراكة الوطنية.

وفي تناوله للعدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة، أكد المكتب السياسي على حق شعبنا الطبيعي في الدفاع عن نفسه في وجه هذا العدوان المتواصل، وفي ممارسة كل أشكال المقاومة ذودًا عن وجوده وحقوقه وأهدافه الوطنية. وحيّا الجهد المقاوم الكبير ودور غرفة العمليات المشتركة في مواجهة العدوان، وحذر من خطورة رهن مقاومة شعبنا «لتفاهمات» ثبت أنها غير قادرة على معالجة الواقع المعيشي والإنساني الخطير في القطاع، الناجم بالأساس عن الحصار الإسرائيلي له، والتي يعمل العدو على استغلالها واستثمارها في جعلها قاعدة لتنفيذ مخططه بفصل الضفة عن القطاع، والبناء على ذلك لتمرير مشروعه التصفوي لقضيتنا وحقوقنا.

أبناء شعبنا الفلسطيني في الوطن ومواقع اللجوء:

إن ثقتنا بشعبنا الفلسطيني وقواه الحية ومقاومته الباسلة هي الأساس في استمرار تمسكنا بنهجنا الوطني الوحدوي، والمحفز لنا دائمًا في رفع لواء المواجهة والمقاومة للمخططات والمشاريع التي تستهدف حقوقنا وقضيتنا ووجودنا، فمن دماء الشهداء الذين يروون يوميًا تراب وطننا الحبيب تُسقى جذوة النضال والكفاح الوطني، وتزداد القناعة بأن هذا النضال والكفاح لن يتوقف رغم عِظم التضحيات المقدمة، ومن عزيمة أَسرانا في السجون تُستمد محفزات الصمود والثبات، الذين يجسدون بالمعارك البطولية التي يخوضونها بأمعائهم الخاوية ملاحم مشهود لها على طريق حريتهم وحرية شعبهم ووطنهم، ومن تشبث لاجئينا بحقهم في العودة تستمر أجراسها تُقرع على طريق تحقيق الحرية والاستقلال والدولة وتقرير المصير.

أبناء أمتنا العربية وشعبنا الفلسطيني:

في الوقت الذي ينعي فيه المكتب السياسي شهداء قطاع غزة الأبطال، الذين قضى معظمهم جراء الاستهداف المباشر لهم، وتحت أنقاض منازلهم خلال العدوان الصهيوني الأخير، ينعي أيضًا أحد خيرة أبناء ومناضلي وقادة الشعب الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدكتور رباح مهنا، الذي قضى بعد عمر حافل وطويل من الكفاح والعطاء الوطني والمجتمعي، حيث تزامن رحيله مع ثاني أيام العدوان على شعبنا، وكأن لسان حاله يقول: إن هذا العدو لا يجب أن يستريح أو يسجل أرباحًا على حسابنا، بل يجب استنزافه ودك معاقله وتكبيده الخسائر المادية والمعنوية، التي ستجبره وحدها على التسليم بحقوقنا والرحيل عن أرضنا. فللرفيق القائد الوطني والمجتمعي د. رباح وكل شهداء شعبنا المجد ومنا عهد الوفاء.

المجد للشهداء والحرية للأسرى والنصر حتمًا حليف شعبنا

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

المكتب السياسي

2019/5/11

# دعت كافة القوى للتضامن مع كوبا الشعبية: تشديد الحصار الأمريكي على كوبا يستهدف ثورتها العملاقة

استنكرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم أمينها العام أحمد سعدات ولجنتها المركزية ومكتبها السياسي، اليوم السبت، تشديد الحصار على كوبا وشعبها العظيم الذي صمد عبر عقود طويلة في مواجهة ضغوط ومؤامرات الإمبريالية الأمريكية.

وقالت الجبهة الشعبية في تصريح لها وصل «بوابة الهدف»، إن «المادة الثالثة من قانونَ هيلمز – بورتون والتي تسمح للمواطنين الأمريكيين برفع دعاوى على المؤسسات الكوبية أمام المحاكم الأمريكية وتشديد القيود على التجارة مع كوبا والسفر إليها، وعلى تحويلات الكوبيين الأمريكيين لذويهم في كوبا، كل ذلك يشكل تدخلاً سافرًا وتصعيدًا لمخططات الإدارة الأمريكية التي تستهدف كوبا وثورتها العملاقة».

وثمّنت الجبهة عاليًا «موقف الثورة الكوبية تجاه قضايا الحرية والعدل في العالم، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية وحقوق شعبنا الفلسطيني الثابتة وغير القابلة للتصرف»، مُعلنةً «تضامنها الكامل ووقوفها إلى جانب الشعب الكوبي وقيادته الشجاعة في مواجهة المخططات الأمريكية».

ودعت الشعبية في تصريحها، كافة القوى التقدمية في البلدان العربية وعلى الصعيد العالمي لرفع الصوت عاليًا للتضامن مع كوبا في وجه المخططات المُعادية.

# قرارٌ مشين ومنحاز للكيان.. الشعبية: إدانة حركة المقاطعة يسقط ورقة التوت عن الديمقراطية الألمانية

اعتبرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قرار البرلمان الألماني إدانة حركة المقاطعة BDS واعتبارها حركة مناهضة للسامية قرار مشين ومنحاز للكيان الصهيوني.

وأكدت الجبهة أن هذا القرار الخطير يسقط ورقة التوت عن الديمقراطية الألمانية، ومحاولة لتدفيع شعبنا الفلسطيني وقضيته العادلة فاتورة ما يُسمى بالمحرقة.

وأشارت إلى أن إصدار هذا القرار يمثل تعارضاً مع تصاعد الأصوات المناهضة للاحتلال وجرائمه في أوروبا وخصوصاً في ألمانيا التي تشهد أنشطة وفعاليات واسعة ومتواصلة في مختلف المدن الألمانية دعماً للقضية الفلسطينية ورفضاً للاحتلال الصهيوني.

وأضافت الجبهة أن هذا القرار سيلحق أفدح الضرر بألمانيا ومصداقيتها باعتبارها إحدى الدول التي تتغنى بالديمقراطية وقيم الحرية والعدالة والتزامها بالقوانين الدولية ونصرة الشعوب المظلومة، فقد أكد هذا القرار على كذبة نموذج العالم الحر الذي تحاول ألمانيا تصديره للعالم.

وكان البرلمان الألماني، قد أقرّ يوم الجمعة 17 مايو/أيار 2019، مشروع قانون يعتبر حركة مقاطعة «إسرائيل" (BDS)، حركة «مناهضة للساميّة»، ويدعو حكومة بلاده إلى عدم تمويل أو دعم أي مؤسسة تنفي «حقّ إسرائيل في الوجود والدفاع عن نفسها."

ويأتي هذا القرار في إطار محاربة حركة المقاطعة التي حققت إنجازات كبيرة في إطار عزل الكيان الصهيوني أكاديميًا وثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا، ما أدى لاعتبارها خطرًا «استراتيجيًا» على كيان الاحتلال.

# التطبيـــــع مع الكيـان
# سياســة تحويـل اللا طبيعـي إلـى طبيعـي

أبو علي حسن ـ
عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

**ظاهرة التطبيع مع الكيان الصهيوني ليست جديدة، أو مفاجئه، بقدر ما هي صادمة جراء إقدام أنظمة عربية بمستوى من الفجاجه والوقاحة على التطبيع علانية، وصلت إلى حد الاستقبالات الرسمية، والأغاني البروتوكولية المرحبة «بالضيف الاسرائيلي» كما حصل في استقبال قابوس لرئيس وزراء الكيان الصهيوني. فالساحة العربية منذ سنوات وهي تشهد عمليات تطبيع مع الكيان، منها ما هو سري ومن تحت الطاولة، ومنها ما هو علني ورسمي، وتحت مسميات مختلفة سياسية واقتصادية وثقافية ورياضية واستخباراتية وتجارية، فقد مارست دول عربية عديدة التطبيع مع الكيان منذ أن فتحت اتفاقات كامب ديفيد أتوستراد «السلام مع الكيان».**

إن التطبيع بمعناه الممارس منذ عقود هو عملية «process» ممنهجة ومبرمجة وفق متطلبات كل مرحلة سياسية، تستهدف إزاحة الوطنية الفلسطينية من الوعي والوجدان العربي، والتطبيع يعني فيما يعنيه، إقامة علاقات مع أركان الكيان الصهيوني تأخذ بعداً أكبر وأشمل من البعد السياسي والرسمي، فالاصطلاح يحمل في معناه الاعتراف بـ «اسرائيل» كدولة طبيعية بالمنطقة، لديها شعب ومجتمع ومؤسسات وجغرافيا وتاريخ... يمكن التعامل والتواصل معها... وعقد اتفاقات مختلفة مع مؤسساتها كأي دولة في العالم.

والتطبيع بدأ سياسياً ورسمياً، وأخذ مجراه العملي على مراحل، غير أنه بدأ من قمة الهرم السياسي في أي دولة عربية، ولم يأتِ اعتباطاً، أو بمبادرة شعبية، أو شخصية، إنما هو ممارسة سياسية من رحم بيئة سياسية وثقافية تم إنشاءها وإنتاجها على مر عقود من الزمن عبر تلك الأنظمة العربية التي تريد التخلص من عبء القضية الفلسطينية. هذه البيئة التي تنمو فيها تلك الطحالب التطبيعية، وعليه فالتطبيع قرار واعي وهادف ومستوحى من ضغوط إقليمية ودولية وفق رؤية سياسية متكاملة الأهداف البعيدة المدى، ولا يمكن فهمها إلا في إطار الاستجابة لبيئة انهزامية، تلك البيئة لا تستطيع أن تفكر في كيفية الخروج من مربع الهزيمة، بقدر ما تفكر في

كيفية التعايش والتسليم والتأقلم مع واقع وتداعيات الهزيمة.

وعلى هذا الأساس فإن «التطبيع» هو حالة انكسار سياسي ووطني ثقافي أمام العدو الصهيوني، وحالة ضعف في الانتماء، وفي الرؤية الاستراتيجية لمخاطر الكيان الصهيوني، وكيفية مواجهته. هذا الضعف يفضي إلى سلوك أسهل الطرق للتحلل من عبء استحقاق الحق الفلسطيني سياسياً واقتصادياً وكفاحياً.

إن دولة الكيان الصهيوني، هي كيان استيطاني غربي وعنصري غريب عن المنطقة في تاريخها وحضارتها وثقافتها، وحتى دينها، وهو كيان وافد من الغرب الاستعماري بقوة السلاح، ويمثل قاعدة متقدمة للغرب، وثكنة عسكرية تعمل على تهديد الحالة العربية باستمرار في سياق رؤية استعمارية لإخضاع المنطقة أو احتلال جزء منها، وتأبيد التبعية السياسية والاقتصادية.

إن هذا التوصيف للكيان يعني فيما يعنيه أنه كيان غير طبيعي مستولد من رحم الاستعمار، وحين يقدم البعض على التطبيع معه، فهو يسعى لجعل هذا الكيان كياناً طبيعياً بالمنطقة، وكياناً أصيلاً ذو جذور تاريخية وله حق الوجود، وأن الصراع معه اليوم هو صراع مفتعل ولا يعبر إلا عن حالة استثنائية يجب أن تنتهي وتعود العلاقات الطبيعية معه. أي أن الطبيعي هو الكيان واللا طبيعي هو الصراع معه، واستطراداً فإن الحق الفلسطيني تباعاً ليس طبيعياً، وأن الفلسطينيون تكمن مشكلتهم في إيجاد حل وتسوية لهم، وأن التضحيات التي قدمت على مدار سبعون عاماً من أجل الحق ليست إلا عبثاً ومجافية للوجود الطبيعي للكيان واستنزاف لمقدرات الأمة في حروب ليست منطقية أو عادلة.

إن هذا الفهم والتنظير المتواتر من بعض رجال إعلام وكتّاب ودبلوماسيون عرب، يؤشّر على مدى الخطورة التي يمثلها أصحاب ودعاة التطبيع على الوطنية الفلسطينية، وضرب القضية في الصميم، فخطورة التطبيع مع الكيان لا تنحصر في الخطر السياسي فحسب، إنما تمتد إلى طبيعة الممارسة والعلاقات المتنوعة مع الاحتلال، حيث يفرخ التطبيع السياسي تطبيعاً اقتصادياً وثقافياً وسياحياً واستخباراتياً ورياضياً، وشبكة من العلاقات المتنوعة مع الكيان ومؤسساته، وصولاً إلى قبول الشعوب العربية للكيان في الوعي والوجدان الشعبي، ويزول الحق الفلسطيني تباعاً. لم يكن ممكناً الوصول إلى هذه الحالة من الهرولة التطبيعية مع الكيان لولا علاقة الأنظمة بالكيان «واتفاقات الإذعان» من كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو، وعقد الاتفاقات والتفاهمات ورسم خطوط تماس وخطوط حمر... إلخ، ومن نافل القول أن هذا التطبيع الرسمي لم يكن ليطمئن «إسرائيل» إلى سكون الحالة العربية تجاهها، ولا يمثل لها حلاً لشرعيتها في المنطقة؛ فالأمر من وجهة نظر سياسيي واستراتيجيي الكيان، أن الحل يكمن في تغيير بنية الوعي العربي الشعبي تجاه الكيان، أي خلق حالة وعي مضادة للوعي السائد، وخلق حالة وجدان عربية قابلة بالوجود الصهيوني. فالتطبيع الشعبي والثقافي مع الكيان ومؤسساته وأفراده واقتصاده وثقافته، يمثل العامل الأهم والأكثر ضمانة من التطبيع السياسي الرسمي المهدد دائماً من الحالة الشعبية.

وعليه فالعمل يجري على اختراق الحالة الشعبية العربية بوعيها، ووجدانها، وتفكيرها، لإحداث التحوّل البنيوي في النظرة إلى الكيان، ليس بوصفه عدواً، إنما بوصفه مكوناً من مكونات المنطقة، وهذا التحول يحتاج إلى دعاة ومنظرين ومثقفين وإعلاميين وطلائعي تطبيع. وفي هذا السياق وضمن رؤية مبكرة، كانت فاتحة التطبيع الإعلامي قناة الجزيرة التي بادرت باستضافة «إسرائيليون» على فضائيتها، حيث تحول ظهور «الإسرائيلي» على برامجها كمشهد عادي بعد سنوات من تكرار المشاهدة ولا يثير الدهشة أو الاستغراب لدى المواطن العربي، ولاحقاً بدأ مسار التطبيع يأخذ مساراً آخر؛ إذ ظهر فريق من المثقفين والإعلاميين، وبعض من صناع الفن والمسرح والرواية على سطح المشهد التطبيعي، حيث عملوا وساهموا على قلب المفاهيم واليقينيات حول أصل الصراع ومساره، وجوهر الحق الفلسطيني في سياق رؤية مبرمجة وممنهجة لخلق بيئة ثقافية مغايرة عن الواقع العربي، والتحول التدريجي في المزاج الشعبي تجاه الكيان.

وبالتوازي مع هذا الاختراق، كانت المناهج الدراسية لعموم المستويات التعليمية في المدارس الحكومية والخاصة عرضة للحذف والتبديل فيما يخص القضية الفلسطينية، فقد حذف كل ما يؤشر على طبيعة الصراع مع الكيان وأصله ومساراته والحق الفلسطيني، وأزيلت من المناهج الدراسية مادة التاريخ الفلسطيني والجغرافيا والثقافة الفلسطينية، وتم العبث في الخارطة الفلسطينية، وظهرت كلمة «إسرائيل» كما لو أنها دولة طبيعية، وبديلاً عن فلسطين التاريخية، كل ذلك كان يجري في سياق حرمان الأجيال الفلسطينية والعربية من معرفة وإدراك ووعي القضية الفلسطينية، كي لا تحمل الأجيال الناشئة الإرث الوطني من الأجداد والتاريخ، وأن لا تورث الوطنية الفلسطينية التي تشكلت عبر قرون، وهذا بالمحصلة هو تحقيقاً لقول رئيسة وزراء الكيان «أين هم الفلسطينيون... الكبار يموتون والصغار ينسون».

تاريخيـــة التطبيـــع:

بما أن التطبيع هو عملية سياسية، فإن ممارسة التطبيع وأشكاله ومضامينه، لم تأت فجأة من بطن المرحلة التي نعيش ما فيها من تداعيات وأحباطات، إنما هي عملية تاريخية ومحصّلة التراكمات من فعل التطبيع العربي والفلسطيني الذي تمثل في عقد «الهدن السياسية والعسكرية»، وعقد التسويات مع الكيان في محطات تاريخية مختلفة، الأمر الذي أعطاه مزيداً من القوة والعنجهية والمنعة العسكرية، فكل هدنة أو اتفاق مع الكيان كان مقدمة للتطبيع، وكل تسوية مع الاحتلال، كانت مفردة سياسية دالّة على معنى التطبيع، وكل قرار أممي التزم به العرب، ولم تلتزم به «إسرائيل» كان تطبيعاً غير مباشر مع دولة الاحتلال. وهنا فإن ظاهرة التطبيع لم تنشأ من فراغ، إنما كانت وتكونت ونضجت من رحم المراحل

المختلفة، تحت الضغط «الاسرائيلي» والرؤية «الإسرائيلية» والهزائم العربية. إن هزيمة 1948 وما رافقها من أهداف عسكرية ورسم للحدود وعلاقات سرية بين الكيان وأنظمة عربية، مما يؤشر على أن عملية التطبيع كانت مبكرة، وتحمل فعل الخيانة، غير أن الحالة الفلسطينية والوجدان العربي، وحداثة ضياع الحق الفلسطيني، لم يكن يسمح للأنظمة أن تقدم على فعل التطبيع علانية، فأصبع الاتهام جاهز باتهامهم بالخيانة، بل كان سيفاً مسلطاً على رقاب كل من فكر بفعل التطبيع.

غير أن كل المطبعين الرسميين كانوا يتفلتوا مع كل هزيمة عربية أو فلسطينية من تابوهات الوعي والوجدان العربي، ويطرحوا المشاريع التي هي بالمحصّلة خطوة نحو الاعتراف والتطبيع، ومع كل اجتماع للقمم العربية أو الجامعة العربية كان الخطاب والقرار السياسي الصادر عنهما يمثل هبوطاً عما قبله من القرارات، والمخرجات السياسية كانت تهبط تدريجياً إلى دفع الفلسطيني للاعتراف والتطبيع مع الكيان.

ومن هنا فإن التسوية بمضامينها والتطبيع كانا مساراً زمنياً وسياسياً في سياق تنازلات متدرجة ومتعددة، الهدف منها الوصول إلى طي الملف الفلسطيني بمضمونه «الحق الفلسطيني» وهنا لا يهم إن كان البعض العربي أو الفلسطيني قد وافق على المخرجات بحسن نية أو بنية ممارسة التكتيك في تعاطيه مع هذه التسويات والقرارات؛ فالأهم أن التنازلات كانت تأخذ مجراها وتتحول الى واقع موضوعي، وتمثل سيرورة التداعي نحو الاعتراف والتطبيع.

إن اتفاق كامب ديفيد بين مصر و «إسرائيل» مثّل البلدوزر الذي شق جبل الرفض العربي للكيان، وفتح أتوستراد خلفي للوصول إلى حالة عربية وفلسطينية مفارقة للمألوف، من حالة الصراع إلى حالة السلام! وشكّلت دافعاً وحماساً لمن يريد أن يزيح عن كاهله عبء الحق الفلسطيني، وأنعشت أحلام الكثيرين من العرب لتسيير بلدوزرات جديدة على «أتوستراد السلام» فكان العدوان «الإسرائيلي» على لبنان عام 1982 استثماراً لخروج مصر من جبهات المواجهه عبر كامب ديفيد، وتلا ذلك اتفاق 17 أيار الذي قبره الشعب اللبناني وسوريا، وأعقب ذلك مبادرة الملك فهد، ثم كان التنازل الفلسطيني في طبعته المتفائلة بإقرار وثيقة الاستقلال عام 1988، وكانت مدريد وكانت أوسلو الفلسطينية. تلك المحطة التي شكّلت أخطر محطة في تاريخ الصراع مع الكيان، والتي فكت القيد، وأحلّت المحرمات لدى العرب اللاهثين للاعتراف والتطبيع، وسلحت هؤلاء بمقولة «لسنا ملكيين أكثر من الملك الفلسطيني»، ولم تنفذ «إسرائيل» بنداً واحداً من اتفاق أوسلو رغم تعدد وتوالي الاتفاقات اللاحقة، غير أن الفلسطيني أبقى على التطبيع بكل مكوناته من سياسي واقتصادي وأمني...إلخ، ولا يزال يشكل دافعاً لكل مطبّع عربي.

عملية التطبيع ومشروع الشرق الأوسط الجديد:

ما هي علاقة التطبيع وممارساته بمشروع الشرق الأوسط الجديد؟ لأول وهلة قد يبدو أن لا علاقة بين هذه وتلك! إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في محاولة قراءة التفكير الاستراتيجي للقادة «الإسرائيليين» وخبراء السياسة الاستراتيجيين بالإدارة الأميركية و«إسرائيل» ومحاولة التأمل فيما يقولونه، أو يصرحون به في مراحل معينة، ودائماً هناك رابط بين أولوياتهم الراهنة وهدفهم الاستراتيجي.

والشرق الأوسط كمشروع استعماري لم يغب يوماً منذ عقود من التفكير الاستراتيجي لدى الساسة الأمريكيين و«الإسرائيليين»، ولكن الأولويات تأخذهم بعيداً، دون أن تنفي العودة إلى مشروع الشرق الأوسط الجديد، وبعد أن انطوت طبعات مشروع الشرق الأوسط القديم، بدءاً من مشروع حلف بغداد عام 1955 بين العراق وإيران وتركيا وباكستان في مواجهة الشيوعية، ومحاولة ضم لبنان إليه، إلى مشروع كونداليزا رايز «الشرق الأوسط الجديد» لإدماج «اسرائيل» في المنطقة، كان لا بد أن تختلف آليات وطرائق تدشين الشرق الأوسط الجديد، بعد أن واجهت كل طبعاته الملونة الفشل الذريع؛ فالأنظمة وحدها ليست ضامنة لبقاء هكذا مشروع، والقوة وحدها ليست قادرة على دفع هذا المشروع إلى الأمام، فيكون الحل هو اللجوء إلى سحر العامل الاقتصادي كمقرر ومحفّز عبر الدعوة إلى سوق شرق أوسطية تحدث موجات من التفاعلات التجارية والعلاقات البيئية بين الأنظمة العربية ودول المنطقة ودولة الاحتلال، وهنا يصبح التطبيع الرسمي والشعبي وسيلة أخرى في تشييد الشرق الأوسط الجديد الذي يلبي الحاجة والرغبة الأمريكية الاستراتيجية، والتي تتجلى في إدماج «إسرائيل» في المنطقة كشريك ومكوّن أساسي في سوق شرق أوسطية تكون مدخلاً وبوابة الدخول إلى مشروع الشرق الأوسط الجديد.

وعليه فالتطبيع سياسة وليس فعل عشوائي معزول عن عالم صناعة الأحداث، فكل الاتفاقات والتفاهمات والمعاهدات تستهدف فعل التطبيع، فقد وقّعت مصر أكثر من تسعة اتفاقات مع الكيان لأجل تفعيل عملية التطبيع، منها ما يعالج مناهج التعليم الدراسية، ومنها ما يتعلق بتزويد الكيان بمياه النيل والغاز، ومنها اتفاق «كوينز» في المناطق الصناعية...إلخ، ولم تشذ الحكومات الأردنية عن القاعدة التي رسمتها كامب ديفيد في العلاقات مع الكيان، فقد فتح اتفاق وادي عربة بوابة العلاقات الاقتصادية على مصراعيها، كما قامت الحكومة بتأجير أراضي أردنية للكيان الصهيوني.

وحين تقدم قطر والإمارات وسابقاً موريتانيا واليوم مسقط على إقامة علاقات اقتصادية واستخباراتية أو رياضية، هي في الواقع فعل تطبيعي لكنه يهدف إلى الوصول وإلى بلوغ الهدف الاستراتيجي في إقامة شرق أوسط جديد، يدمج دولة الاحتلال في المنطقة، وإسدال الستار عن «الوطن العربي الكبير من المحيط الخليج»، وهنا تتحول دولة الكيان إلى دولة طبيعية في منطقة أشمل وليس في المجال الحيوي العربي.

ولعل في قول رئيس وزراء «اسرائيل» الأسبق بيريز بعد أن فرغ من توقيع اتفاق أوسلو، ما يؤشر على الهدف الاستراتيجي الأبعد من تسوية مع العرب أو الفلسطينيين، قائلاً في كتابه (الشرق الأوسط الجديد: غلب عليّ التفكير...، أكثر من السعادة، فقد اجتزت مرحلة الاحتفال إلى الخطوة التالية، وهي: كيف يمكن بناء شرق أوسط جديد؟ فالاتفاق في أوسلو، والاحتفال في واشنطن، لم يكونا سوى العتبة التي يمكن أن نقفز من عليها إلى الأعلى والأبعد...) وكان يقصد بالأعلى والأبعد مشروعه لشرق أوسط جديد، وهو أيضاً القائل (يجب أن يكون التفاوض قبل الاعتراف) أي اعتبار التفاوض مفردة تطبيعية يجب أن نبدأ بها قبل أن تعترف بالآخر الفلسطيني.

التطبيع وعلاقته بالفكر السياسي الفلسطيني

كما أسلفنا فإن التطبيع مع الكيان هو فعل سياسي، وليس فعل مقطوع عن الأهداف المتوخّاه، وعليه فإن تحولات الفكر السياسي الفلسطيني على أيدي النخب السياسية أو الفكرية الثقافية، لا يمكن إلا اعتبارها استجابات لواقع عصي على الكسر، وإن الخروج منه لا يمكن إلا بتطويع الأهداف والكلمات، وممارسة التكتيك، وتسجيل الأولويات المتوهمة قبل التحرير.

فالفكر السياسي الفلسطيني بدأ من التأكيد على عروبة فلسطين ونوعية المعركة عبر ثلاث شعارات (الوحدة الوطنية، والتعبئة القومية، والتحرير من خلال الميثاق القومي الفلسطيني. وانتقل إلى تعديله بالميثاق الوطني الفلسطيني في محاولة لتأكيد الوطنية الفلسطينية لم يكن إلا استجابة لمنطق ورؤية قطرية بغيضة، لا تريد أن تغرق في المحيط العربي ونتاجه السياسي والفكري. وبعد سنوات ليست بعيدة في عام 1974 تبنت م.ت.ف ما سمي بالنقاط العشر التي أقرّت في المجلس الوطني الفلسطيني والتي جوهرها إقامة سلطة فلسطينية على أي أرض يتم تحريرها. لا معنى لهذا الهدف دون أن تكون لديك أي أرض محررة، فالأصل هي رسالة إقليمية ودولية

تحمل معنى التنازل والقبول بسلطة على ايّ أرض فلسطينية.

وكذا الأمر فإن الانتقال من أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين كـ استراتيجية إلى منطق أن م.ت.ف تناضل بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح، هو محاولة لإفساح المجال لتسويات ومقاربات وأشكال سياسية، والتعاطي مع المجتمع الدولي ومن ثم الكيان. بيد أن كافة النقاط العشرة بعد ذلك جرى تجاوزها ونفيها، وتفسيرها بغير مضمونها الأساسي، حيث تم الاعتراف بقرار (242) ووصف الكفاح المسلح بالإرهاب، وحتى الميثاق الوطني وصف بالكادوك، وتم الاعتراف بالكيان الصهيوني بالرغم من أن البند الثالث في النقاط العشرة يمنع ذلك عبر النضال والمقاومة. ولم تقف الأمور عند هذا الحد، فقد ألغيت معظم بنود الميثاق الوطني، وتحول الفكر السياسي من فكر مقاوم إلى فكر مساوم، ومن تحرير إلى إدارة سلطة تحت الاحتلال، فكانت أوسلو ثالثة الأثافي التي حطمت كل البرامج الوطنية السابقة، ومقررات الإجماع الفلسطيني، هذا المنحى من التنازلات لم يكن سوى محطات تطبيعية مع واقع الحال، ومن ثم مع الكيان الصهيوني. إنها رسمت البدايات للوصول إلى النهايات.

ومن المفارقات الفكرية للنخب الفلسطينية أن ينبري لفيف من المثقفين والمفكرين في البحث عن رؤى سياسية مختلفة تماماً عن برامج م.ت.ف حتى وهي في انحدار عن مساراتها، من نمط الدعوات إلى دولة ثنائية القومية، أو دولة المواطنة، أو دولتين متعايشتين، أو كونفدرالية ثلاثية الأبعاد، أو كونفدرالية مع الأردن، أو فصل غزة عن الضفة...إلخ، من الإرهاصات التي ابتعدت كثيراً عن أهداف ومضامين الميثاق الوطني الفلسطيني، ومن المفارقات أيضاً أن من يتمسك بالميثاق الوطني الفلسطيني يطلق عليه «بالقوى الخشبية»، أما من عبث في كل برامج م.ت.ف وميثاقيها يطلق عليهم «قوى الاعتدال والواقعية».

في مقابل هذه التنازلات كسياق تطبيعي مع الواقع المجافي، وبالنهاية تطبيع مع واقع الاحتلال وكيانه الغاصب كانت «إسرائيل» متمسكة بكل كلمة سياسية أطلقتها عبر المراحل السياسية التي مرت بها، ومتمسكة بثوابتها، لا للعودة إلى حدود 4 حزيران، ولا للقدس عاصمة للفلسطينيين، ولا لدولة فلسطين، ولا لوقف الاستيطان. وفي مجال التفاوض والتسوية ترسم لنفسها شعارات تتمسك بها أمام المفاوض العربي الفلسطيني، لكنها شعارات كلما تحقق التنازل العربي والفلسطيني كلما كان الشعار صاعداً إلى التمسك بالأهداف الاستراتيجية الصهيونية؛ فمن شعار «الارض مقابل السلام، ضاعت الأرض، ومن شعار السلام مقابل السلام، ضاع السلام، إلى شعار التطبيع مقابل التوقيع»، وبعد التطبيع تضيع فلسطين، وهكذا كل شيء يتحقق للاحتلال دون التزام بأي حق للفلسطيني، واليوم تصبح «صفقة العصر» هي الخطوة الأخيرة للملف الفلسطيني، عبر التطبيع والإلزام، والقوة الأمريكية، والاستجابة العربية، فهل تنجح قوى التطبيع على طي الملف الفلسطيني؟

# تقريرٌ دولي صادم حول الاقتصاد الفلسطيني.. ما هو المطلوب؟

أحمد بدير– غزة_ خاص الهدف

حذَّر البنكُ الدولي من الصدمة الحادة التي يُعاني منهاَ الاقتصاد الفلسطيني، مُطالبًا في تقرير له قبل أيام بضرورة تقديم حلوًل سريعة وعاجلة لإنقاذه من القرصنة الصهيونية خصوصًا على أموال المقاصة الفلسطينية، والتضييق على بعض والسلع التي يزعم الاحتلال أنها تستخدم مدنيًا وعسكريًا، ويُطلق عليها «ذات الاستخدام المزدوج».

التقرير الذي يعكف البنك الدولي على تقديمه إلى لجنة تنسيق المساعدات للشعب الفلسطيني، في اجتماعها المقبل في بروكسل، في 30 نيسان/أبريل الحالي، أكّد على أن «الاقتصاد الفلسطيني لم يشهد نموًا حقيقيًا في عام 201، بل يواجه الآن صدمة حادة على صعيد المالية العامة».

وبحسب تقديرات البنك الدولي، فإن «من شأن تخفيف القيود المفروضة على السلع ذات «الاستخدام المزدوج» أن يضيف 6% إلى حجم الاقتصاد في الضفة الغربية و11% في قطاع غزة بحلول عام 2025، بالمقارنة مع السيناريو المتوقع إذا استمرت القيود».

المُختص في الشأن الاقتصادي، د .سمير أبو مدللة، رأى أن «تقرير البنك الدولي لم يأتِ بأي جديد، وهذه الاحصائيات موجودة ومعلومة لدى الاحصاء الفلسطيني، ولا جديد سوى أنه تقرير دولي سيُقدم إلى الدول المُجتمعة في بروكسل نهاية نيسان الجاري»، مُبينًا حسب مُطالعته للتقرير «أنه الاقتصاد الفلسطيني لم يُحقق نموًا ملحوظًا عام 2018، وموزانة السلطة الفلسطينية ستُعاني من عجزٍ كبير خلال العام الحالي 2019».

وأشار أبو مُدللة خلال اتصال هاتفي مع «بوابة الهدف»، إلى أنَّ هناك تراجعًا كبيرًا في دعم البنك الدولي للأراضي الفلسطينية، يُتابع «كان هناك مشاريع للبنك الدولي تُقدّم للأراضي الفلسطينية، إذ كانت في العام 2017، 67 مليون دولار، وفي العام 201 تراجعت هذه المشاريع بشكل كبير».

وأضاف أن «مساعداتٍ الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، تراجعت بشكل كبير، إذ قدمت في العام 2017، 260 مليون دولار، ولكن في العام 201 لم تقدّم أي مبالغ جديدة، بل على العكس قلصت الوكالة قبل أيام من عدد عامليها في الأراضي الفلسطينية من 100 موظف إلى 14 موظفًا».

وشدّد على أن «إسرائيل تُمارس حربًا على الاقتصاد الفلسطيني من خلال اقتطاع أموال المقاصة، ما دفع السلطة لعدم استلام الأموال كاملةً وتقدّر بالمتوسط 168 مليون دولار، وهي تغطي 65% من مجموع نفقات السلطة خلال العام»، مُؤكدًا أن «الموازنة الفلسطينية هذا العام تمر بأزمةٍ حقيقية».

وحول ما هو مطلوب لإنقاذ الاقتصادي الفلسطيني من الانهيار أكثر ممّا هو عليه، أشار أبو مدللة إلى أنه «على السلطة الفلسطينية أن تتحرك عربيًا لأن هناك تراجعًا في الدعم العربي عامًا بعد عام وخاصة شبكة الأمان التي تم الحديث عنها في قمة بيروت، وتم التأكيد عليها في قمة تونس، من أجل تعزيز صمود الشعب الفلسطيني».

ورأى أنه «يجب على السلطة محاولة تقليص المصاريف الجارية لها مثل (النثريات – السفر)، وعليها أيضًا مُحاربة عمليات التهريب عبر المُستوطنات، في ظل أن معلومات البنك الدولي تؤكد ضياع 300 مليون دولار سنويًا على السلطة كضرائب من خلال عمليات التهريب».

وشدّد أبو مدللة على ضرورة «قيام السلطة بفرض ضرائب بشكل رأسي على الشركات الكبرى، وخاصة أن هذه الشركات لديها عقود حتى 20 عامًا كشركة جوال مثلاً بمبلغ 290 مليون دولار، في حين بلغت أرباح العام 201، 67 مليون دينار أردني، فعلى السلطة البحث عن موارد جديدة من أجل الخروج من أزمتها الحالية».

تقرير البنك الدولي دعا حكومة الاحتلال «إلى تخفيف القيود على السلع ذات الاستخدام المزدوج الذي تطبقه الحكومة الاسرائيلية على مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة»، مُؤكدًا أنه «في حال تم تخفيف هذه القيود فإن الاقتصاد في الضفة الغربية سينمو بنسبة 6٪ و بنسبة أكبر في قطاع غزة قد تصل 11٪ عام 2025».

وفي السياق، حذّر أبو مدللة «من اتساع الفجوة في تمويل موازنة السلطة من 400 مليون دولار في عام 2018 إلى أكثر من مليار دولار في عام 2019، حيث بلغت مديونية السلطة للبنوك 1.5 مليار دولار.

**تقاريرٌ كاذبة !**

الكاتب والخبير الاقتصادي د.عادل سمارة، رأى من جانبه أن تقارير البنك الدولي هي من أكثر العوامل التي أقنعت السلطة ومنذ عام 1993، على ربط الاقتصاد الفلسطيني بالإسرائيلي، مُؤكدًا أن الأوضاع المُعاشة في الوقت الحالي هي نتاج توصيات البنك الدولي.

وأكّد خلال حديثه مع «بوابة الهدف»، على أن «السلطة الفلسطينية هي الوحيدة في العالم التي بدأت اقتصادها مُعتمدةً على وصفات البنك الدولي، وليس كما تجري العادة عند استقلال أي دولة بالعمل على خطط وبرامج اقتصادية واضحة ومُحدّدة من أجل النهوض بالحالة الاقتصادية»، واصفًا فعل السلطة هذا «كالذي فُطِمَ على السرطان منذ ولادته».

وأشار سمارة إلى أن «بذور الخلل بدأت من البداية، وقبل عدّة أعوام عندما كانت تقول تقارير البنك الدولي أن الأراضي الفلسطينية تُحقق نموًا بقيمة 9% أو 10%، كان كذبًا، إذ يعتمد الاقتصاد الفلسطيني على (الريع) فقط الذي يأتي من المساعدات الأجنبية، فجميع تقارير البنك الدولي كاذبة».

كما أكّد أنه «كان بإمكان السلطة الفلسطينية طلب زيادة الدعم المالي من الدول العربية لمُوازنة السلطة قبل عدّة سنوات، وهذا ما يتعذّر في الوقت الحالي، وبالأمس خلال اجتماع ووزراء الخارجية العرب، يبدو أنهم أبلغوا أبو مازن بأنٍ عليه المُوافقة على صفقة القرن أولاً ومن ثم يأخذ الأموال».

ويأتي تقرير البنك الدولي في وقتٍ بلغ فيه متوسط البطالة في الأراضي الفلسطينية 31 % وهي أعلى بـ 2.4% من العام 2017. وهناك 46% من سكان قطاع غزة يعيشون تحت خط الفقر، في حين تبلغ هذه النسبة في الضفة الغربية 9%.

وقدّم التقرير صورة مُتشائمة حول آفاق الاقتصاد الفلسطيني مع تواصل الاجراءات الصهيونية وسياسة الرئيس الأميركي دونالد ترامب تجاه شعبنا ومؤسساته، ووكالة «الأونروا» أيضًا، كذلك في وقتٍ يشهد تراجعًا عربيًا على صعيد التمويل، دون إغفال التأثير السلبي المتواصل للانقسام الفلسطيني القائم منذ صيف العام 2007 على الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وغيرهما.

# الجبهة الشعبية تنعي عضو مكتبها السياسي القائد الوطني والمجتمعي الدكتور رباح مهنا «أبو مروان"

بمزيد من الحزن والأسى تنعي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم أمينها العام ومكتبها السياسي ولجنتها المركزية وجميع كادراتها في الوطن والشتات عضو مكتبها السياسي وأحد أبرز القيادات الوطنية في قطاع غزة الدكتور رباح حسن مهنا « أبو مروان» والذي ترجل اليوم في إسبانيا بعد إجرائه عملية جراحية عن عمر يناهز (71) عاماً بعد مسيرة حافلة من النضال على صعيد العمل الوطني والمجتمعي والصحي.

وتتقدم الجبهة من زوجة وأبناء وعموم عائلة مهنا وكل رفاقه ومحبيه بخالص العزاء برحيل هذا القائد الوطني والإنساني الكبير الذي عُرف عنه تمسكه بالثوابت الوطنية وحق العودة والمقاومة، منحازاً للفئات الفقيرة والمهمشة والمرأة والشباب، جريئاً وصريحاً في طرح المواقف في كل مكان، وعُرف بمحاربته الصارمة للفساد والمفسدين، ومطالبته دائماً بتطبيق قانون من أين لك هذا على كل المسئولين المتنفذين.

إن الجبهة الشعبية وهي تودع قائدها الكبير أبو مروان فإنها تعاهده على أن تسير على ذات النهج والمبادئ التي ناضل وقاتل من أجلها.

السيرة الذاتية للرفيق الراحل الكبير :

- من مواليد قرية المسمية عام ( 1948 ) .
- متزوج وله 5 أبناء.
- أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس قطاع غزة.
- حاصل على بكالوريوس وماجستير في الطب من مصر وبريطانيا.
- انخرط في صفوف الجبهة الشعبية منذ العام1979 وتدرج في مناصبها القيادية حتى انتخب في مؤتمرها الوطني السادس عضواً في المكتب السياسي.
- اعتقل إدارياً من قبل قوات الاحتلال في العام ( 1991 – 1992 ) .
- فرضت عليه الإقامة الجبرية لسنوات طويلة منذ العام ( 1981 – 1994 ) .
- عضو اللجنة السياسية في القيادة الوطنية الموحدة إثناء انتفاضة عام 1987 .
- اعتقل لدى السلطة الفلسطينية عام 2001، بعد قيام الجبهة باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي.
- عضو لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية .
- عضو المجلس الوطني الفلسطيني.
- مؤسس اتحاد لجان العمل الصحي ومستشفى العودة .
- عمل كنائب لرئيس الجمعية الطبية من العام 1981 – 1991 .
- نائب للدكتور حيدر عبد الشافي، وعضو مجلس إدارة الهلال الأحمر لقطاع غزة لمدة ( 10 سنوات )
- ساهم في تأسيس العديد من المؤسسات مثل (اتحاد لجان العمل الصحي، اتحاد لجان العمل الزراعي ، جمعية بنك الدم ، ومؤسسة الضمير ) .
- عضو المجلس الصحي الفلسطيني منذ العام 1993 وحتى عام 1996 .
- عضو الوفد الفلسطيني لمؤتمر السكان في الأمم المتحدة في نيويورك .
- قام بالعديد من الدراسات والأبحاث في مجال الصحة والتنمية .
- مؤسس مركز الدراسات الجماهيرية.
- عمل استشارياً في أمراض الغدد والسكر في وزارة الصحة الفلسطينية .

# قرار بفصل عشرات الموظفين.. سطوة رأس المال تُسقط قانون الضمان الاجتماعي

بيسان الشرافي– محررة ومعدة تقارير

**تفاجأ موظفو مؤسسة الضمان الاجتماعي، في مقرّيْها بقطاع غزة والضفة الغربية، برسالة تفيد بإنهاء خدمتهم، وفصلهم من العمل، بلا أيّة مقدّمات.**

**وعلمت الهدف أنّ رسالةً وصلت موظفي المؤسسة في الضفة وغزة، وعددهم نحو 35، تُبلغهم بوقف خدماتهم مطلع يونيو، على أن يكون شهر مايو الجاري «فترة إشعار»، تطبيقًا لقرارٍ صادر عن رئيس مجلس إدارة مؤسسة الضمان نصري أبو جيش، في حين أبقت على 5 موظفين فقط من في رام الله.**

**وقال مصدر خاص من داخل المؤسسة، للهدف، إنّ الحكومة الجديدة تقف وراء فصل الموظفين، لأنّها «لا تريد قانون الضمان». واطّلعت «الهدف» على وثيقة رسمية، صادرة بتاريخ 30 أبريل، وتحمل توقيع أبو جيش، تُخاطب موظفي المؤسسة، وتُبلغهم بإنهاء خدماتهم اعتبارًا من 1 يونيو المقبل.**

وقالت المؤسسة، بحسب الوثيقة التي تأكّدت الهدف من صحّتها، إنّ سبب فصل الموظفين يأتي استنادًا لقرار الرئيس بوقف نفاذ القرار بقانون الضمان الاجتماعي رقم 1 لسنة 2016، واستناداً لقرار مجلس الإدارة المعتمد من قبل مجلس الوزراء، بالإضافة إلى «الأسباب المالية التي تعاني منها المؤسسة».

وقرر الرئيس محمود عباس ، بتاريخ 2 كانون الثاني 201، وقف العمل بقانون الضمان الاجتماعي، الذي أثار جدلاً في الشارع الفلسطيني، لما احتواه من بنودٍ رأى فيه كثيرون إجحافًا وتمييزًا ضدّ العمال.

النّقابي إلياس الجلدة أوضح للهدف أنّ «الحكومة أنهت خدمات الموظفين لأنّها لا تريد قانون الضمان»، معتبرًا أنّ هذا الإجراء هو مؤشر على مدى سطوة رأس المال، وتراجع الحكومة عن حماية العمال بشكل كامل.

وبيّن مسؤول جبهة العمل النقابي أنّ قانون الضمان، رغم بعض العيوب الذي احتواها، كان يُشكّل نوع من الحماية للعمال، وكان المطلوب تفعيله وإعادة صياغته ليُصبح قانون عادل، لكنّ الضغوط التي مارسها أصحاب العمل وتحريضهم ضدّ القانون، إلى جانب مساهمات بعض المتنفّذين في السلطة، أسفرت عن إحباط هذا القانون وعدم تطبيقه.

وقال الجلدة «يبدو أنّ قرار الرئيس بإعادة فتح باب الحوار من جديد بشأن قانون الضمان الاجتماعي، لإعادة صياغته وتعديله، كان مجرد خدعة لإسقاط القانون، لكن بطريقة غير مباشرة، حتى لا يُقال أنّ الحكومة أسقطته، وهو ما حذّرنا منه بالفعل، مرارًا وتكرارًا لكن في النهاية فرض رأس المال مطالبه، وتمكّن من تمريرها، في حين فشلت النقابات والعمال في الحصول على الحماية بقانون ضمان عادل».

ولفت النقابي الجلدة أنّ القانون كان مُتفقًا عليه من الجميع، وكانت تُشرف عليه منظمة العمل الدولية، لكنّ مع بدء تطبيق القانون، تراجع أصحاب العمل ورأس المال، لتخوّفهم من دفع دفعات كبيرة من الأموال للعمال، كمكافآت نهاية خدمة عن سنوات سابقة، لذا باتوا من المعارضين وضغطوا لشدة لإسقاط القانون».

وبحلول ١ يونيو، سيفقد عشرات الموظفين بمؤسسة الضمان عملَهم، وسيكون عليهم استقبال العيد الوشيك وهم عاطلون عن العمل، ومنهم موظفو قطاع غزة، الذي لا يختلف اثنان على أنّه بات «مستنقع الأزمات». وللمفارقة، فإنّ عددًا من الموظفين، الذين تعيّنوا في المؤسسة نهاية العام الماضي، اضطروا- تحت الضغوط الاقتصادية وبحثًا عن وظيفة حكومية تضمن لهم الاستقرار- اضطرّوا للتخلّي عن وظائف ممتازة، في مؤسسات مختلفة، ما يُفاقم من معاناتهم، بعد تلقّيهم قرار الفصل!

يُشار إلى أنّ وزير العمل السابق، الذي شغل منصب مدير مؤسسة الضمان الاجتماعي، قبل نصري أبو جيش، قال خلال حفل تسليم الأخير مهامه في منصبه الجديد، بأنّ «المؤسسة، ومعها غيرها من المؤسسات الاقتصادية الوطنية «كلّها أدوات تخدم اقتصادنا، وتعتبر روافع اقتصادية أساسية، شريطة أن نحسن استخدامها، بجدّية وصبر وإدارة قوية». لكنّ على ما يبدو فإنّ هذه الكلمات لم تُغادر قاعة الحفل!.

وقال مصدر من داخل المؤسسة، للهدف، إنّ موظفي مؤسسة الضمان شكّلوا لجنةً، في محاولة للضغط على القائمين على المؤسسة للتراجع عن قرار الفصل أو على الأقل استصدار قرار بالتمديد عدّة شهور إلى حين انتهاء الأزمة، وعقدت اللجنة اجتماعًا مع مدير المؤسسة، ووزير العمل الجديد نصري أبو جيش، إلّا أنّ جهودها باءت بالفشل.

ويرى مراقبون أنّ إصرار المؤسسة، بدعم من الحكومة، على فصل الموظّفين، يعكس ذات السياسة التي تمضي بها القيادة المتنفّذة في السلطة الفلسطينية، والتي تتخّذ القرارات بتفرد تام، دون التفات للخلف، والنظر لما يُمكن أن تتسبب به من تداعيات تمسّ قوت الناس وكرامتهم بالدرجة الأولى؛ والعقوبات التي فرضتها الحكومة السابقة على قطاع غزة- منذ مارس 2017 ولا تزال متواصلة بعد الحكومة الجديدة- الشاهدُ الأكبر على هذه السياسة.

# الجبهة الشعبية تنعي رفيقها القائد والمناضل التاريخي ممثلها في الجزائر صلاح محمد

تنعي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم أمينها العام واللجنة المركزية والمكتب السياسي وقيادة فرع الخارج وجميع كادراتها وأعضائها في الوطن والشتات رفيقها القائد والمناضل التاريخي وممثلها في جمهورية الجزائر صلاح محمد محمود صلاح الرمحي «أبو محمد»، أحد منتسبي حركة القوميين العرب وأحد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ بداية التأسيس، والذي رحل مساء اليوم الثلاثاء عن عمر يقارب (72) عاماً بعد صراع طويل مع المرض.

بهذا المصاب الجلل تتقدم الجبهة من أسرته وعموم عائلته ورفاقه ومحبيه بأحر التعازي برحيل هذا المناضل الكبير الذي انخرط منذ منتصف ستينيات القرن الماضي في معترك النضال، مقاتلا صلباً، ومناضلا مشهوداً له، ومثقفاً ثورياً عرفته كل ساحات النضال بتفانيه وتميزه وأخلاقه العالية. وكان مثالاً يحتذى للرفيق الملتزم بمبادئ وفكر وبرنامج الجبهة الوطني التحرري والاجتماعي الديمقراطي.

• السيرة الذاتية للرفيق الراحل :-

- مواليد 6-7- 1947 وتنحدر أصوله من قرية المزبرعة (قضاء اللد) التي هاجر منها وأسرته إلى مدينة غزة في عام 1948، حيث ترعرع فيها وتعلم في مدارسها حتى الثانوية العامة.

- انتسب لحركة القوميين العرب عام 1965.

- بعد احتلال قطاع غزة عام 67 ا غادر إلى الأردن والتحق بصفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ بداية تأسيسها، وعمل في جهازها العسكري.

- أكمل دراسته الجامعية في الجزائر، وعاد بعدها ليعمل عضواً في قيادة الساحة العربية بالجبهة، وعمل في دائرة العلاقات السياسية العربية فيها.

- انتخب في المؤتمر الوطني الخامس للجبهة عضواً في اللجنة المركزية العامة.

- شغل عضوية قيادة الفرع الخارجي للجبهة، ومن ثم تولى مسئولية تمثيل الجبهة الشعبية في الجزائر.

- قارئ ومثقف وكاتب مختص في الشأن الفلسطيني والعربي والدولي.

- حظي باحترام وتقدير كافة تلاوين الطيف السياسي والمجتمعي الجزائري والصحراوي، ودائم الحضور في جميع مناسباتهم الوطنية كقيادي ممثل للجبهة الشعبية.

- كان مناضلا وحدوياً بامتياز، وبوصلته دائماً فلسطين، ومؤمناً بالوحدة العربية، وممن تركوا بصمات واضحة لهم في توحيد الموقف الفلسطيني داخل ساحة الجزائر.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهي تودع رفيقها المناضل الكبير، فإنها تعاهده على مواصلة درب النضال والتضحية والمقاومة والسير على المبادئ والقيم التي قضى نحبه ملتزماً بها حتى تحقيق كامل أهداف شعبنا في العودة والحرية والاستقلال.

# المناضل الراحل رباح مهنّا.. في عُيون رفاقِه ومُحبّيه

بيسان الشرافي

غادرنا، مساء الأحد 5 أيار/ مايو 2019، مناضلٌ وقائدٌ حقيقي، رجلٌ لم يُساوِم قط على مبدأ أو موقف، واصل عطاءه وعمله حتى اليوم الأخير. كان الأب والأخ والرفيق الحقّ لكل من عايشه، وبشهادة كثيرين كان المُخلص الوفيّ الصادق دومًا، هو الرفيق الراحل د.رباح مهنّا.

«بوابة الهدف» حاورت عددًا من الشخصيات، التي رافقت الراحل في مسيرته النضالية والمهنية والمجتمعية، وتوقّفت عند أبرز ما عايشه هؤلاء رفقةَ هذا المناضل، وفي محاولة لمُلامسة ما ميّزَه وفضّله، ليكون أكثر بكثيرٍ من مجرد «طبيب، وسياسي فلسطيني».

## الجرو: رفيق الدرب الذي لا يُعوّض

«رفيق الدرب الذي لا يُعوّض»، هكذا وصف المحامي، ورئيس جمعية الهلال الأحمر ب غزة حاليًا، يونس الجرو، الذي عايش الراحل قرابة 35 عامًا. وقال في حديثه للهدف «كان صديقًا عزيزًا، تعرفتُ عليه منذ العام 1986، بينما كان عضوًا بمجلس إدارة الجمعية الطبية».

المحامي الجرو، أضاف «توثّقت علاقتي برباح مهنّا خلال الانتفاضة الأولى، وكنا معًا في اللجنة السياسية بالقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الأولى، مع شخصيات فصائلية أخرى».

«كان إنسانًا صريحًا واضحًا، قويَّ الحجة، مخلصًا ومتواضعًا»، قال الصديق، وتابع «رباح أخلص في عمله بشكل متناه،على حساب صحته ووقته وماله، وتفرغ لِلعمل السياسي، وترك كل أعماله المهنية، في الوقت الذي كان فيه من أشهر أطباء السكري والغدد، وقاسى جراء هذا الأمر بشكل كبير».

ولفت إلى أنّ رباح كان ذو إرادة قويّة، ولم يُعِقْه شيءٌ عن مُواصلة عطائه، ولا حتى اعتقاله من قبل الاحتلال، بالعام 1991، الذي خرج بعده عطِشًا لمواصلة العمل النضالي.

الرفيق الذي لم تنقطع صلته برباح منذ العام 1986، قال عنه «كان ذا رؤية سياسية واضحة المعالم»، مُشيرًا إلى أنّه شغل مناصب عدّة في مؤسسات مختلفة، منها جمعية الهلال الأحمر بغزة، التي كان فيها نائب الرئيس.

«رغم تفضيله التفرّغ للسياسة، ظلّت العلاقة مع رباح مستمرة، إذ كّنا نستعين بخبراته الطبية بشكل دائم في تطوير عمل جمعية الهلال الأحمر» قال المحامي الجرو، وأضاف أنّ الراحل وبرغم مرضه الذي لازمه مؤخرًا، لم يتوانَ أو ينقطع عن العمل والعطاء، وكان يتحمل المشقة والتعب والألم في سبيل متابعة القضايا الوطنية والمجتمعية، ولم يكن يتردد في تقديم الخدمة الإنسانية لأي شخص، سيما الفئات الفقيرة المهمشة.

وزاد «نال رباح مهنا احترام مختلف القوى السياسية، لصراحته وجرأته وقدرته على قول الحق»، وعُرف عنه الجرأة في طرح آرائه ومواقفه».

وختم المحامي يونس الجرو، بتمنّياته من رفاق رباح مهنّا في الجبهة الشعبية، الالتزام- كما التزموا في تاريخهم- بمواقف الجرأة والوضوح، وكلمة الحق، كما التزم الراحل.

## كايد الغول: أخلص لوطنه ولشعبه ولجبهته.. ودفعَ ثمنَ قناعاته

كايد الغول، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية، الذي كان على اتصال مع الراحل منذ سنوات طويلة، وتعرّفَ عليه بالمعنى المباشر منذ 1996، قال في حديثه للهدف «تميّز رباح بالإخلاص لقضيّته ولحقوق شعبه، وهذا كان انعكاسًا للمعاناة التي عاشها منذ هُجّر من بلدته المسميّة إلى غزة، التي عاش فيها ذات الظروف الصعبة التي مرّ بها اللاجئون، ليُشكّل هذا كلّه وعيَه، ويُرسخَ فيه أهمية العودة إلى فلسطين، والنضال من أجل ذلك.

انخرط رباح مهنّا في العمل الوطني، في البداية من خلال عمله كطبيب، وهو ما أهّله لأن يكون أحد قيادات الجمعية الطبية. وكان يُعطي اهتمامًا كبيرًا للعملِ المجتمعي، الذي كان يرى فيه ركيزةً لا بدّ منها في مواجهة الاحتلال وسياساته. وفق الغول، الذي لفت إلى أنّ الراحل كرّسِ حياته من أجل العمل السياسي، تاركًا العمل في الميدان الطبي، بعد انتخابه عضوًا في المكتب السياسي للجبهة الشعبية في تموز

2000.

تجلّت سمات الرفيق رباح، بحرصه الشديد على أن تكون الجبهة قويةً منيعةً ومؤثرة، وأن تتصدّى القضايا الحياتية للناس، وبذل جهودًا عديدة في هذا السياق، من خلال الحرص على بناء حالة تنظيمية متماسكة وقوية من جهة، وترسيخ البعد الكفاحي لتنظيم الجبهة في مواجهة الاحتلال، من جهة أخرى. إحدى المفارقات التي لامسَها الغول في شخص المناضل الراحل، كانت مواءمته بين العمل المجتمعي والعمل الكفاحي. فكان يرى في الأول أداةً هامة في خدمة الشعب والدفاع عن مطالبه، وفي الوقت ذاته كان يُركّز كثيرًا على العمل الكفاحي، وبذلك قدّم نموذجًا مختلفًا عما كان سائدًا من اعتقاد لدى كثيرين بأنّ من يعمل في المنظمات الأهلية يبتعد عن المهمّات الكفاحية، وعن الدعوة لممارستها.

دفع رباح مهنّا ثمن قناعاته، وانخراطه في العمل الوطني، فاعتُقل لدى الاحتلال، وتخلّى عن امتيازات كثيرة كان يحظى بها كونه طبيبًا، فآثر الاكتفاء بما هو متوفرٌ من راتب تقاعديّ، والمُضيّ لما هو أسمى.

عهدنا الراحل رباح مهنّا، شديد الحرص والتمسك بالأهداف الإستراتيجية لشعبنا وحقوقه، وكان دومًا يتصدّى لكلّ منهجٍ ضار يرى فيه هبوطًا عن هذه الأهداف والحقوق. كما تميّز بالصراحة والوضوح والجرأة في طرح مواقفه.

وتابع الغول حديثه للهدف بالقول «كان الراحل من أشد المناهضين للانقسام، والمدافعين عن الوحدة الوطنية، باعتبارها حاجة وطنية ملحة، وهو التعبير الذي كان يُركز عليه دومًا، كما كان حريصًا على بناء تيار ديمقراطي يضمّ القوى الديمقراطية والمجتمعية، وبذل جهودًا مخلصة ودائمة لتحقيق ذلك، إضافة لحرصه على إدارة الخلافات الوطنية بكل مسؤولية. وأقام مع مسؤولي القوى علاقات (محترمة)، كما كان يحلو له استخدام هذا التعبير في مواقع ومواضيع عديدة».

«رغم مرضه، لم يضعف للحظة، أو يتراجع عن مهامه، أو دوره في الجبهة والعمل الوطني»، بل كان يقول دومًا أن استمراره في العمل، هو العلاج لحالة المرض التي يعيشها. وختم الغول بالقول إنّ «الراحل تميّز بعلاقات رفاقية حميمة، وكان دومًا حريصًا على مشاركتهم أفراحهم وأتراحهم ودائم السؤال عنهم».

الفرا: كان طبيبًا قائدًا.. ذا رؤيةٍ متقدمة في العمل الصحي

الطبيبة منى الفرا، التي غالبتها الدموع وهي تتحدث لبوابة الهدف عن رباح مهنّا، الإنسان والصديق، قالت عنه «كان طبيبًا قائدًا، وإنسانًا من الدرجة الأولى، وكان مع الفقراء والمهمّشين، بالفعل لا مجردَ شعارات، وكان دومًا المناصرَ لحقوق الأطباء والعاملين في القطاع الصحي.

د. الفرّا، التي تُدير حاليًا برامج مركز تحالف أطفال الشرق الأوسط «مكا»، تجمعها معرفةٌ بالراحل تزيد عن 30 عامًا. قالت «رغم ما كان يبدو عليه من قوة وشراسة، كان بداخل هذا الرجل طفلٌ صغير، أقصى أحلامه الحصولُ على قطعة من حلواه المفضّلة (النمّورة)».

وتابعت «كان داعمًا لي بشكل كبير، سيّما في العمل المجتمعي، وتشاركنا مواقف ومراحل كثيرة».

في العمل الصحّي، كان صاحبَ رؤيةٍ متقدمة. لم يكن ينظر إلى الصحة بمعنى المستشفى والعيادة فقط، بل كانت رؤياه ترتكز على كون قطاع الصحة مجالًا للتأثير، عبر البرامج والتثقيف الصحي والمكتبات والمراكز الصحية، إلى جانب تغليف السياسة بالصحة، لذا عملنا على مقاومة خصخصة الخدمات الصحية، من أجل المريض الفقير.

هذه الرؤية أثمرت عن تأسيس اتحاد لجان العمل الصحي، بالعام 1985، ومن بعده مستشفى العودة في مخيّم

جباليا، بالعام 1992.

«كان يفكر ويخطط جيدًا، وكان يهتمّ دومًا بمن حوله، ويُتابع أدق التفاصيل المتعلقة بهم»، وختمت د.الفرا «كل شخص عرف رباح مهنا، وكل منزل دخله سيفتقده». ولن تنسى د.منى الحوارَ الذي دار بينهما، في آخر اتصال هاتفيّ قبل وفاته بيوم، والذي قال فيه إنّه سيعود في أقرب وقت لغزة، ولن يُطيل مكوثه في إسبانيا، التي كان سافر إليها لزيارة ابنه. ليصدق قوله- كما العادة- لكنّ هذه المرة ساكنًا مُحاطًا بدموع المحبين والرفاق.

الصوراني: كان معطاءً.. وكرّس حياته لأجل شعبه وقضيته

«شأنُه شأن القادة الحقيقيين، كان رباح مهنّا واحدًا من الناس، إنسانًا بسيطًا متواصلًا، يعيش هموم الناس وقضاياهم» قال راجي الصوراني، الحقوقي ومدير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان.

وأضاف، في حديثه للهدف، عن رباح مهنّا، أنّه «لم ينعزل في يوم، أو يتقوقع، وكان يُصغي بانتباه لكُل ما يقال، ولم يتعصب يومًا لرأي أو موقف، وكرّس حياته بالكامل من أجل شعبه وقضيته». لافتًا إلى أنّ كان من السهل أن يكسب ثقة الآخرين، لذا تمتّع بمستوى رائع من العلاقات، فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا.

ولفت الصوراني إلى أنّ الراحل «كان وفيّا لأصدقائه ورفاقه ومحبيه، والأهم لقضيته». فكان يُعطي بلا حدود، للدرجة التي أثر فيها هذا على وضعه الشخصي.

ا لمصد ا قية والثقة العالية كانت من أبرز مناقبه، وفرض رباح مهنّا نفسه، فكان من أجرأ الأصوات التي لا تُساوم على قناعتها.

لم يقوَ الصوراني على الحديث أكثر عما جمعه بالراحل مهنّا، واكتفى بالقول «ما بيننا لا يُحكى»، مُؤكدًا أنّ غيابه سيؤثر كثيرًا، إذ سيكون هناك افتقادٌ لمواقفَ وشخصية ومناضل نوعيّ. مُعربًا عن أمله بأن يُشكل هذا المناضل حالة إلهام للكثيرين، في ممارساته ونهجه، سيّمًا الوضوح والالتزام والمصداقية.

ناصر: عزاؤنا في ما بناه من صرحٍ وجيلٍ عظيم.. وطنيًا ومجتمعيًا

صالحٌ ناصر، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، قال للهدف «إنّ د. رباح كان حظيَ بعلاقات مميزة مع القوى، الجميع يحبّه ويحترمه، كان رجلًا وحدويًا يبحث عن التقاطعات، وكل ما يجمع ولا يفرق، وبالفعل حظيَ بحب وتقدير كل من عايشه وعرفه وعمل معه».

وأضاف ناصر، بحديثٍ غلب عليه الانفعال والتأثّر لغياب هذه القامة الوطنية «رباح مهنّا رفيقٌ مناضل، ديمقراطي تقدمي وطني، ومناضلٌ مجتمعيّ، تميّز بكونه شديد الوضوح والجرأة في التعبير عن مواقفه».

وشدّد على أنّ رحيله يشكل خسارةً في ظل الظروف التي نعيشها، وقال «نحن بحاجة لهكذا رفيق، صلب ومناضل لنتجاوز المرحلة» مُستدركًا بالقول «إنّ عزاءَنا في رحيله، أنّه ربّى جيلًا واسعًا، وبنا صرحًا عظيمًا، سواء على الصعيد المجتمعي أو الحزبي، فنحن على ثقة بأن هذا الصرح الذي بناه، هو الذي يخفف من مصابنا».

وقال «ثقتُنا عالية بمواصلة المسير على هذا الدرب، الذي شقه الرفيق المناضل رباح مهنّا، لتحقيق الأهداف التي قضى من أجلها؛ عودة شعبنا إلى دياره التي هُجّر منها قسرًا، بموجب القرار 4 أ، وحق تقرير المصير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة، ديمقراطية، كي يعيش شعبنا بحرية وكرامة وعدالة اجتماعية».

تختم «بوابة الهدف» بالتأكيد على أنّ ترجّل الفارس جسدًا لا يعني بالمطلق غيابَه روحًا ونهجًا وفكرًا وقِيَمًا، فمن بعدِ الرّباح رفاقٌ وأصدقاءٌ وعائلة، ترفع الرأسَ به وبتاريخه الحافل بالعطاء والتضحية والعمل الدؤوب، وكما عبّر هؤلاء في نعيهم هذا الرجل ورثائه، لن يخذلوه في المُضيّ على ذات النهج، بذات الهمّة والعزيمة.

# تسريبات بالون الاختبار

محمد السعيد إدريس– أستاذ العلوم السياسية

بعد ثلاثة أيام من الاعتداءات العسكرية «الإسرائيلية» الممنهجة ضد قطاع غزة، أقرَّ وقف إطلاق النار بين قوات الاحتلال والفصائل الفلسطينية بوساطة مصرية. هذه الاعتداءات التي أسفرت عن استشهاد 29 فلسطينياً، بينهم أطفال ونساء، وإصابة أكثر من 160 آخرين لم تأتِ من فراغ، فهي واحدة من «إجراءات التكيف» الفلسطينية لفرض المشروع الأمريكي للتسوية، وهي الإجراءات التي تستهدف جعل تلك «الصفقة» الأمريكية مقبولة باعتبارها أمراً واقعاً في ظل التغييب القسري لأي بدائل أخرى، وفي مقدمتها مشروع حل الدولتين، وقاعدة مبادلة الأرض بالسلام التي أسست عليها مبادرة السلام العربية.

أعطى قادة الكيان هذه الاعتداءات الأخيرة التي دمرت المباني والمنشآت، وأرهبت المواطنين اسم «جولة اللكمات العسكرية»، وهم هنا يكشفون عن أن هذه الاعتداءات هي جولة ضمن جولات سابقة وأخرى لاحقة تستهدف فرض تهيئة قسرية لقطاع غزة للانخراط الطوعي في الصفقة، بدليل أنها، أي هذه الاعتداءات، جاءت بعد مخطط تجويعي لأهالي غزة عبر تضييق متعمد شمل إغلاق المعابر، وترافق مع تضييق آخر على موارد السلطة الفلسطينية، سواء من الضرائب التي تعمل سلطات الاحتلال على تحصيلها، أو عبر وقف ضخ المعونات للسلطة، فضلاً عن الدور الأمريكي في تدمير منظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، لكن الأهم أنها تزامنت مع مخطط آخر تضمن تسريب بعض المعلومات التي ما زالت تفتقر إلى الصدقية بخصوص محتوى الصفقة.

هذه التسريبات يمكن اعتبارها بالون اختبار لقياس مدى القنوط الذي أصاب معنويات الشعب الفلسطيني في كل شيء، وإلى أي درجة بات مستعداً للقبول بأسوأ الحلول .

لم تعلن الصفقة رسمياً، لكنها فرضت فعلياً وبالتحديد بالنسبة للمكاسب التي سيحصل عليها «الإسرائيليون»، والتي يمكن اعتبارها بمنزلة استكمال نهائي للصفقة التي صدرت عن مؤتمر بازل الصهيوني الأول عام 1897، الذي استهدف فرض قيام دولة يهودية على أرض فلسطين. فاعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رسمياً بالقدس الموحدة عاصمة لدولة الكيان، وبالجولان السورية المحتلة جزءاً من أرض «إسرائيل»، ودعمه لسياسة التوسع والاستيطان اليهودي في الضفة الغربية، كلها بنود أساسية في صفقته، وتكمل ما استهدفته الصفقة الأولى، لكنها في الوقت ذاته تهيئ الظروف للتوسع «الإسرائيلي» جغرافياً، وتوفر نفوذاً في الجوار الإقليمي وفق ما نص عليه البرنامج الانتخابي لتكتل الليكود الذي يترأسه بنيامين نتنياهو. فقد جاء على رأس قائمة هذا البرنامج الذي فاز فيه الليكود بناء «إسرائيل التوراتية»، أي الخروج من الإطار الضيق الحالي للدولة المحدود بنهر الأردن شرقاً حتى شاطئ المتوسط غرباً إلى مشروع «من الفرات إلى النيل»، سواء كان المقصود هو ضم الأرض بالاحتلال القسري، أو المضي في فرض السيطرة والهيمنة.

ما جرى تسريبه من معلومات بخصوص صفقة ترامب اعتبروه اختباراً لجسّ النبض الفلسطيني، للتأكد من أنه أضحى جاهزاً للتنازل الطوعي عن وطنه وعن مشروعه الوطني. بالون اختبار حوى من مغريات الغواية ما يكفي لتوقيع صكوك التنازل عن الحقوق.

من بين مغريات هذه التسريبات الحديث عن دولة فلسطينية وليس مجرد «حكم ذاتي» تحمل اسم «فلسطين الجديدة»، أي جعل الاسم ثمناً للتنازل عن جوهر الحقوق في الدولة الفلسطينية، كما يريدها الفلسطينيون. ففلسطين الجديدة مقترح لها أن تقام على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن تستقطع منها كل المستوطنات أي ضم المنطقة (ج) من الضفة، حسب اتفاق أوسلو، والتي تزيد على 60% من أراضي الضفة. وفي الوقت ذاته يمنع على «فلسطين الجديدة» أن يكون لها جيش، والسلاح الوحيد المسموح به هو سلاح الشرطة. وتتولى «إسرائيل» الدفاع عن «فلسطين الجديدة» من أي عدوان خارجي على أن تدفع فلسطين الجديدة ثمن هذه الحماية.

أيضاً من بين إغراءات هذه التسريبات رصد 30 مليار دولار على مدى خمس سنوات لمشاريع تخص فلسطين الجديدة (ثمن ضم المستوطنات لإسرائيل).

تسريبات الغواية ليست في الحقيقة مجرد غواية فقط بقدر ما هي تهديد وإجبار، بدليل أنها تنص على أنه «إذا اعترضت» حماس أو منظمة التحرير على هذه الصفقة، فإن الولايات المتحدة ستلغي كل دعمها المالي للفلسطينيين، وتمنع أي دولة في العالم من تحويل الأموال إليهم. وإذا وافقت المنظمة، ورفضت حماس وحركة الجهاد الإسلامي الصفقة، فستلجأ إلى اغتيال قادتهما.

# ماذا خلفَ اللوحات الإعلانية في ساحة السرايا بغزة؟!

فاتن لولو– قانونية من غزة

**ليس الغريب من لاذ إلى غير موطنه وفارق أحبابه بحثًا عن حياة كريمة ليُكتب له الاكتواء بنار الغربة، بل الغريبُ هو الذي شُرّد قسرًا داخلَ وطنه، وتُرك يتنقّل بين شارعٍ وآخر، بحثًا عن ملجأ لأطفاله.**

**مواطنون يُعانون ليل نهار، مِنَ جوع وفقر ومرض، وقمع وحرمان. يئنّون تحت وطأة الفساد وتربُص الفاسدين، لا يطلبون سوى الحد الأدنى مَن العيش الكريم، آملين أن تتنزّل عليهم مُعجزةٌ تُبرهن لهم، بالملموس، أنّ «في هذا الوطن حياةً».**

عائلاتٌ، رجالٌ ونساءٌ وأطفال، لم يجدوا ما يأويهم سوى بضعة أمتار من قماش، جعلوها خيامًا تسترُهم، علّقوها خلفَ اللوحات الإعلانية الضخمة، المنصوبة قرب مفترقِ السرايا وسط مدينة غزة، لتكون ملجأهم بعدما طردهم مُؤجّرون من بيوتٍ كانوا يسكنوها، لعجزهم عن توفير المال لدفع الأجرة.

«بوابة الهدف» قابلت عددًا من هذه العائلات، ولامست ما يطفح على ملامح أفرادها وظروف عيشهم من بُؤس وفقر. بالكاد تَسمعُ صوتَهم وسطَ ضجيج الشارع.

سمير أبو طه، أبٌ لسبعة أطفال، لم يجد مكانٍ يأويهم سوى «خيمة السرايا»، بعدما طُرده صاحب المنزل الذي كان يستأجره، لعدم قدرته على دفع الأجرة. زوجتُه التي غالبتها الدموع، قهرًا على حال أطفالها- كما عبّرت- بدأت حديثها للهدف بالقول «وين الضمير ؟».

وقالت الزوجة «عشرون يومًا ونحن هنا في الخيمة، وجاء شهر رمضان ولم يتغيّر حالُنا، لا نجد ما يُطفئ نار جوعنا بعد الصيام. وإذا ما وجدنا أحيانًا وجبة إفطار، من المسجد، فإننا في أحيانٍ كثيرة لا نجد السحور، لنصوم ببطونٍ خاوية».

«حتى أثاث المنزل حجزه المُؤجِّرُ، لأننا لم نستطع دفع الإيجار» أضافت أم الأطفال السبعة، وختمت الحديث بمطالبة «أصحاب الضمائر الحية والمسؤولين بأن يرأفوا بحالهم وينتشلوهم من بحر المعاناة».

على بُعد أمتارٍ قليلة، خيمةٌ أخرى، لم يختلف حالُ مَنْ فيها عن ما وجدنا عليه عائلة أبو طه، ولظروفٍ مماثلة، يقطن محمد أبو جيّاب الشارعَ، هو وأطفاله، منذ شهور.

طُردَ أبو جيّاب من المنزل الذي كان يستأجره، لعجزه عن سداد الأجرة، فذهب ليسكن في إحدى المقابر، مع أطفاله الأربعة، قرابة ثمانيةِ شهور، دون أن يعلم بحاله أحدٌ، وبحثًا عن ملجأً آخر، انتهى به الأمر في خيمةٍ بساحة السرايا، لتكون منزله وكل ما يملك.

يقول أبو جياب للهدف «أحد أطفالي مريض، ولا أستطيع علاجه. لا يوجد لدينا أيّ مصدر دخل، ولا مأوى آمن لأطفالي».

لوحاتُ ساحة السرايا، هائلة الضخامة، زاهيةُ الألوان، ذات الإعلانات المختلفة والدعايات السياسية المتقلّبة، تُبهر المارّة وتخطف أبصارهم، دون الالتفاتِ إلى ما تُخفيه هذه اللوحات من وجع وفقر، وأناس سرقَ البؤسُ أعمارَهم، وأطفالٍ سلب التشرّدُ والحرمانُ طفولتهم. وللمفارقة فإنّ هذه الساحة، هي ذاتها التي تطنّ بها احتفالات الأحزاب والفصائل الفلسطينية، وتضجّ بها أغنيات «الصمود» و«الانتصار»، في الكثير من المناسبات.

الشاب حافظ عباس، يقطن

في خيمة مجاورة، جاء هو الآخر برفقة زوجته وأطفاله الأربعة ليقطن خلف لافتات السرايا، قال «وين بدّي أروح أنا وأولادي».

وأضاف الأبُ الثلاثيني، للهدف، «كنت أعيش في منزل بالإيجار، وكان أهل الخير يدفعون الأجرة، لكن في الوقت الحالي وبسبب الظروف الاقتصادية المتردية التي يشهدها قطاع غزة، لم أجد من يتبرع لي بالأجرة».

«لم أجد أمامي سوى الذهاب بأطفالي وزوجتي لمُجاورة الأموات بعد أن ضجّ منّا الأحياء في هذه المدينة الحزينة. نعم ذهبتُ إلى المقبرة». قال الشاب عباس.

الكثير من العائلات التي شرّدها الفقر وأنهكها الدين، تقطن شوارع غزة، ومنها خيامُ السرايا، التي تمرّ فيها الدقائق وكأنّها أعوامٌ من الشقاء، ولا يجد ساكنوها من يسمع أنّاتهم أو يرأف بقلوب صغارِهم، وأقصى أمانيهم أربعةُ جدرانٍ بسَقفٍ، تضع حدًا لمعاناته.

ويُعتبر الحق في السكن أحد العناصر الأساسية المُكونة للحقّ في مستوى معيشي لائق، ويحظى بمكانة مركزية في القانون الدولي لحقوق الإنسان، نظرًا لارتباطه بغيره من الحقوق، سيّما الحق في الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي والحق في الخصوصية، ولارتباطه الوثيق بحقوق فئات محددة، كالأطفال والنساء وذوي الإعاقة والمشردين داخليًا.

ويرتبط هذا الحق بجملة من الالتزامات التي يتوجب على الدولة الوفاء بها لحماية الحق في السكن، والتي تكون خاضعة للرصد والمساءلة.

قطاع غزة، الذي تتكالب عليه الأزمات المعيشية والسياسية، ما تنفكّ المؤسسات الحقوقية والهيئات الدولية تُحذّر من أنّه صار- أو يكاد يُصبح- مكانًا غير صالح للعيش. آخر هذه التحذيرات تضمّنها تقريرٌ نشرته صحيفة «الإندبندنت» البريطانية، الجمعة 10 مايو 201، قالت فيه الأمم المتحدة إنّ مليون إنسانٍ في القطاع سيعانون من الجوع، مُحذرةً من «كارثة إنسانية» وشيكة، بالتزامن مع تراجع ميزانية «الأونروا»، واقترابها من النفاد خلال شهر.

# الجبهة الشعبية تنعي القائد الوطني المناضل الجبهاوي التاريخي علي درويش «أبو صالح"

بمزيد من الحزن والأسى ينعى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرفيق أحمد سعدات والمكتب السياسي واللجنة المركزية وكافة كوادرها وأعضاءها في الوطن والشتات الرفيق القائد الوطني والمناضل التاريخي والأسير المحرر علي صالح درويش « القطاوي» (أبو صالح )، والذي رحل اليوم الجمعة الموافق 4/26/ 201 بعد أن أفنى حياته مدافعاً عن فلسطين وثوابت وحقوق شعبنا.

وتتقدم الجبهة من عموم عائلة درويش « القطاوي» المناضلة ورفاقه ومحبيه بأحر التعازي والمواساة، برحيل هذا المناضل الوطني الكبير الذي جسد خلال سنوات الاعتقال الطويلة، وميادين البطولة والمقاومة مقاومة مبدئية صلبة ومدرسة ثورية في العطاء والتواضع والإنسانية والالتحام الدائم مع الجماهير والثقافة الوطنية العالية والوحدوية.

نبذة عن حياة الرفيق « أبو صالح»:

-مواليد عام 1950، تنحدر أصوله من قرية الجماسين - عشيرة القطاطوة – قضاء يافا.

-استقر في مخيم المغازي بالمحافظة الوسطى بقطاع غزة، ويعتبر من أعمدة المخيم الرئيسية والوطنية التي نالت احترام وتقدير من أبناء المخيم.

-التحق في صفوف الجبهة الشعبية منذ نعومة أظافره، وانخرط في أنشطتها الكفاحية وتميز فيها بالجرأة والشجاعة والإقدام، وتدرج فيها بالمراتب الحزبية، وشغل مناصب قيادية فيها، و على اثر نشاطه الفدائي طارده الاحتلال واعتقله أكثر من مرة، حيث أمضى سنوات طويلة في الأسر بلغ مجموعها أكثر من 22 عاماً. حيث اعتقل في المرة الأولى عام 1969 أمضى فيها عاماً ونصف، واعتقل في المرة الثانية عام 71 1 وتحرر عام 1985 في صفقة التبادل الشهيرة، واعتقل مرة ثالثة عام 1988 وتحرر عام 1994.

-انتخب عضواً في اللجنة المركزية العامة في احدى مؤتمرات الجبهة الوطنية.

-عمل سنوات طويلة في هيئة القوى الوطنية والإسلامية في قطاع غزة.

-من مؤسسي اللجنة الشعبية للاجئين، وأحد أشد المدافعين عن حقوق اللاجئين.

-قائد مجتمعي تميز بعلاقاته الواسعة وفي المبادرة للإصلاح المجتمعي، منطلقاً من قناعته بوحدة شعبنا، فكان على الدوام وحدوياً ونموذجاً يقتدى به في تجسيد معاني الوحدة الوطنية.

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ونحن نودع قائدنا الكبير أبو صالح القطاوي، فإننا نجدد العهد له ولكل الشهداء بالسير على ذات الدرب والقيم والمبادئ التي ناضل من أجلها حتى تحقيق أهداف شعبنا في العودة والحرية والاستقلال وإقامة دولة فلسطين المستقلة على كامل التراب الوطني.

# النخبة الفلسطينية وتسويق النكبة

موسى جرادات– كاتب فلسطيني

**تاتي ذكرى النكبة هذا العام وهي تحمل معها متغيرات كبرى عصفت بالقضية الفلسطينية، فالذكرى في هذا العام تحمل معها تحديات كبرى ومصيرية، فالعدو الصهيوني متحالفا مع الإدارة الأمريكية المتصهينة، قد استكملا حصار الشعب الفلسطيني ويتجهان نحو مسعى فرض الحلول النهائية التي تتناسب مع مصالح الحركة الصهيونية ودولة الاحتلال.**

فلا دولة فلسطينية غرب النهر مهما كان حجم مساحتها ولا سيادة ولا استقلال، مع شطب القدس من قاموس التفاوض، بالإضافة إلى شطب حق عودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها في العام 1948، وبتنا على أعتاب نكبة جديدة لا تقل فداحة عن نكبتنا الأولى.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المضمار ويتخذ مشروعية كبرى ويتعلق في هذا المسار الذي أوصلنا إليه نحن الفلسطينيين أنفسنا لكي نصطدم مرة أخرى بجدار الهزيمة والانحدار، كيف وصلنا إلى قعر الهاوية ؟ ومن يتحمل مسؤولية هذا النكوص ؟ وهل هناك أمل جديد بالنهوض مرة أخرى ؟ كل تلك الأسئلة لابد من تقديم إجابات حقيقية عليها دون تزييف للوعي ودون لف أو دوران ودون تقديم مبررات لا تسعفنا اليوم ونحن أمام حفرة النار التي أعدت لنا لكي نطبخ عليها والتي اصطلح على تسميتها بصفقة القرن.

نعم الإجابات على تلك الأسئلة تحمل الكثير من الألم والمصاعب والتحديات، فبعيدا عن موازين القوى التي مالت دوما لصالح الاحتلال، وبعيدا أيضا عن تغييب عمقنا القومي والإسلامي عن ضفاف الصراع، وبعيدا عن التغيرات الكبرى التي عصفت بالمنطقة وبعموم المشهد السياسي العالمي، الذي أفرز مسرحا عبثيا لا يأبه بكل المقولات الكبرى التي تتحدث عن العدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها وكل الشعارات الكبرى التي رفعت بعد الحرب العالمية الثانية.

ماذا فعلنا نحن الفلسطينين وعلى الرغم من كل التضحيات التي قدمناها على مذبح الحرية والاستقلال، ماذا فعلت نخبتنا بنا لكي تتساوق مع مقولات الذئاب عن السلام المضلل ؟ وكيف استجابت لكل أشكال الضغوط لكي ندخل حفرة أوسلو معتقدين أنها المسار الحتمي لنيل حريتنا.

كيف صدقت تلك النخبة هذه الاكذوبة الكبرى وروجت لها وقدمتها كأيدلوجية ناجزة لا غبار عليها، وجميعنا يعرف أن محطة أوسلو جاءت في ظل انكسار وانحدار الدولة القومية والوطنية في ديار العرب، وفي ظل واقعة تاريخية وهي تدمير العراق وحصاره، وأن الدافع الفعلي لدخول حلبة أوسلو جاء مباشرة بعد محنة العراق، والتي اعتقد فيها المستعمر الغربي إنه أجهز على كل مصادر القوة التي استند إليها الفلسطيني في طريق كفاحه ونضاله ضد المستعمر الصهيوني، وإن الوقت قد حان لفرض وقائع جديدة على الأرض تكون فيها دولة الاحتلال لاعبا مركزيا وأساسيا في المنطقة بل أكثر من ذلك الدولة الأكثر شرعية في المنطقة دون أن تقدم أي تنازل لصالح الشعب الفلسطيني، بل على العكس من ذلك تتحول دولة الاحتلال إلى مصدر للشرعيات لتلك النظم الفاقده للشرعية والمهترئة والفاسدة.

المراقب يرى بوضوح حجم التذلل من تلك النظم لدولة الاحتلال، وحجم التنازلات الكبرى التي تجلت بالمبادرة العربية حيث اجمعت تلك النظم على تقديم اعتراف بدولة الاحتلال مقابل حل القضية الفلسطينية يقوم على أسس غضة ولا تلبي تطلعات الشعب الفلسطيني.

فبتنا أمام هزيمة للوعي لم تملها ساحة الصراع المفتوح مع العدو الصهيوني والذي تكفل بحمل لواءه الشعب الفلسطيني طوال قرن من زمن دون أن تظهر عليه علامات الضعف أ التعب وفقدان الأمل.

هزيمة للوعي تمثلت بتقبل دولة الاحتلال باعتبارها قدرا أزليا لا يتزحزح، فبتنا نحن من ينهار ويتزحزح ويتراجع، في ظل ثبات دولة الاحتلال على المقولات الكبرى للحركة الصهيونية والتي تفترض وجود شعب واحد غرب النهر يعيش حياة الرفاه والأن والسيادة وألية كبيرة العدد تخضع وتتقبل الامر

الواقع.
وللذهاب اعمق من ذلك فان هزيمة الوعي التي انجزتها اوسلو حملت معها جملة من الصراعات الداخلية في بنى الحركة الوطنية الفلسطينية تجلت في حالة الانقسام الذي بات مزمنا والذي دفع بتغيب قوى الشعب الفلسطيني الحية عن مسرح الصراع لصالح قوتين تتعاركان على سلطة وهمية أنتجت معها مفردات وخطاب سياسي ولغة لا تمت للواقع بصلة.
فماذا يعني أن جوهر بقاء السلطة اليوم في الضفة الغربية يقوم على التنسيق الأمني مع الاحتلال في المقابل السلطة الأخرى في غزة تجهد في البقاء عبر تفاهمات مع العدو الصهيوني جميعها مرتبطة بمطالب معيشية لا أكثر.
فهزيمة الوعي هنا ليست حالة نظرية تقرأ ضمن تصورات منهجية بقدر ماهي تمثلات في الواقع أصابت شرايين المجتمع الفلسطيني بالتصلب وفقدان القدرة على التأثير وبقاءها ضمن مجال التأثر.
فإذا أردنا الخروج من هذا المستنقع لابد لنا من الإقرار بجملة حقائق لالبس فيها وتتعلق معظمها بالنخبة الفلسطينية بشقيها السياسي والثقافي والتي تميل لتقديم إجابات مرضية عن تساؤلات مصيرية، فلا الإجابات الغيبية قادرة على ملء الفراغ ولا الإجابات المحنطة قادرة أيضا على ملامسة الجرح الغائر في الجسد الفلسطيني المنهك والمتعب والفاقد للحد الأدنى من التوازن الذي يؤمن له ديمومة الاستمرار.
هذه النخبة شاخت كما شاخت شخوصها وثبت عقم تصوراتها لأنها اتكأت منذ البداية على بناء تصورات عرجاء أدت بنا إلى ما أدت اليه، ومصيرها الحتمي الزوال فكل الأطر الفاسدة سينتهي بها المطاف نحو نهايتها الحتمية، أما الشعب فهو الذي يبقى وهو القادر على الفرز في لحظة التحديات الكبرى، فالشعب الذي عبر إلى القرن الثاني من الكفاح والنضال وقدم الغالي والنفيس قادر على اجتراح المعجزات، وقادر أيضا على بناء مرحلة جديدة عمادها الأساس إما نحن أو نحن ولا نحن غيرنا.

# حصار الذئاب

طلال عوكل

في الهدف

مرة أخرى تتقدم غزة، بفضح كل الوجوه بكل الألوان، وكل الجنسيات وألوان العيون، مرة أخرى تقدمقزغ مرآة كبيرة تظهر فيها وجوه الصغار والكبارة، من الذين شربوا حليب المهانة، واستبدلوا رداء الكرامة، برداءات الخزي والعار.
ليس غريبًا أن يصدر عن الولايات المتحدة موقف يدين ما تصفه بالإرهاب الفلسطيني، وتمنح الحق والغطاء لإسرائيل التي تدافع عن نفسها. ولكن أي رئيس هذا الذي يصر على أن يظهر أمام العالم صغيرًا بهلوانيًا؟ لا حاجة للرئيس ترامب لأن يؤكد بأن بلاده مع إسرائيل مئة بالمئة، فهذه حقيقة لا ينكرها سوى بعض فاقدي البصر من العرب، بعد أن فقدوا البصيرة.
أمريكا مع إسرائيل مئة بالمئة، وهما عائلة واحدة، بحسب نائب الرئيس الأمريكي، وهذه العائلة المتحدة، هي ضد الفلسطينيين كل الفلسطينيين، مئة بالمئة. إن كان هذا لا يقدم جديدًا، فإن دعوة الاتحاد الأوروبي للفلسطينيين بوقف إطلاق الصواريخ، وبدون أي إشارة للعدوان الإسرائيلي، هذه الدعوة، الموقف، ينبغي أن لا يستدعي الدهشة والاستغراب. أوروبا هي التي وقفت خلف المخطط الصهيوني منذ بداياته، وقدمت له الرعاية الكاملة حتى تحقق هدفها الأول بقيام دولة إسرائيل عام 1948، وهي أيضًا لأسباب استعمارية تحرص كل الحرص على أمن إسرائيل، وتعتبر المقاومة الفلسطينية إرهابًا.
إذا كان ذلك ليس غريبًا فالغريب والمستغرب، أن يصمت العرب والمسلمون، فلا تسمع لهم صوتًا ولا همسًا يُدين الإجرام الصهيوني، وينتصر للضحية، الأمر الذي ينبغي أن يستفز عندنا كفلسطينيين سؤال لماذا نجهل نحن أيضًا تخلينا عن أنفسنا أم ماذا؟

# مقاتل في فلسطين
# يوميات بخط يد «جمال عبدالناصر»

عبد الله السناوي– كاتب ومحلل سياسي مصري

**لم يكن بوسع الضابط الشاب، وهو يصل بقطار عسكرى إلى غزة يوم (3) يونيو (1948)، أن يتوقع، أو يمر بخاطره، أن تجربة الحرب فى فلسطين سوف تحكم حياته وتدفعه، بعد توقف معاركها والعودة للقاهرة، إلى إعادة بناء تنظيم «الضباط الأحرار» وتشكيل هيئته التأسيسية، التى أطلت على مسارح السياسة الملتهبة يوم (23) يوليو (1952)، كانت حرب فلسطين السبب المباشر الأول للثورة فى مصر. هذه حقيقة لا يمكن نفيها فى ظل ما سجله رئيس أركان الكتيبة السادسة فى دفتر يومياته الشخصية، التى كتبها على مكتب فوقه لمبة غاز أثناء الحرب.**

**أصدق ما ينسب لرجل ما يكتبه بخط يده تعبيرًا عن مشاعره ومكنونات نفسه فى لحظة الحدث دون توقع أن أحدًا سوف ينظر فيما كتب، ولو بعد عشرات السنين.**

هكذا بدت المفاجأة كاملة عند نشر يوميات «جمال عبدالناصر» في حرب فلسطين بخط يده. على مدى ستين سنة كاملة لم يتح لأحد من معاونيه ومقربيه وأسرته نفسها أن يدخل فى علمه أنه كتب يوميات شخصية أثناء الحرب وأنها فى عهدة «محمد حسنين هيكل» منذ عام (1953). احتفظ الأستاذ «هيكل» بسره لخمس وخمسين سنة حتى أودع لدي نسخة مصورة من اليوميات عام (2009).

قيمة اليوميات الشخصية لا تضاهى بأية أوراق أخرى منسوبة إلى «عبد الناصر» بقدر ما تكشف من انطباعات واستنتاجات تدخل فى التكوين الإنسانى والعسكرى للضابط الشاب، الذى لم يكن يعرف مصيره، يعيش أو يستشهد، قبل أن يقدر له أن يصبح رجل مصر القوي بعد أربع سنوات.

**(1)**

بخط يده سجل انتقادات على درجة عالية من الحدة والغضب لمستوى الأداء العسكرى وجهوزية القوات ومدى تسليحها، فـ«لا يوجد احتياط مطلقًا من الفصيلة للواء... ولا يوجد أسلاك أو أي تحصينات سوى الحفر».

بعد أقل من شهر على التحاقه بميادين القتال، الثلاثاء (29) يونيو، كتب عن وقائع مؤتمر عسكرى بمقر كتيبته حضره «الشاذلى»، هكذا كتب اسمه مجردًا من أية رتبة عسكرية رغم أنه من ضمن الهياكل القيادية فى حرب فلسطين، ولا أسبغ عليه رتبة مدنية مثل الـ«بك»، كما كانت العادة وقتها عند الحديث عن القيادات الأقدم. فى المؤتمر أهان ذلك القائد العسكرى

ضباط الكتيبة قائلًا: «أى ضابط فى المدفعية أحسن من بتوع المشاة».

كتب: «كان فى منتهى الوقاحة». «وقد جر عليه ذلك ثورة من الجميع وصلت إلى أن نعمة الله بك رد عليه بالقول: إن عساكر وضباط المشاة بيهاجموا على المواقع اليهودية بالقميص، وبدون أى أسلحة مدرعة، الأمر الذى لم تسمع عنه». من هو؟.. ومن أية زاوية نظر إلى عواصف النار حوله؟

كتب معترضًا على أمر انسحاب من الخليل تلقاه يوم الخميس (21) أكتوبر: « ..إن انسحابنا سيعرض جميع السكان فى عراق سويدان وبيت جبرين إلى التشريد، أو الوقوع فى قبضة اليهود.. تصورت منظر الأطفال والنساء والعائلات عند انسحابنا.. وكيف سيحتل اليهود عراق المنشية والفالوجة.. وكيف إذا استمرت الحرب سنحاول استعادة هذه البلاد التى حصّناها.. عراق المنشية مثلا التى وقفت أمام دبابات العدو وجموعه.. كل ذلك سيستولى عليه اليهود.. وسيكون من العسير.. بل من المحال استرجاعها».

قيادة عاجزة وهزيلة». عبارات مماثلة تكررت بأكثر من موضع. «.. أخطرناهم أن الطريق إلى بيت جبرين محتل بالعدو.. ولا توجد ذخيرة منذ عشرة أيام.. ولكن رغم ذلك يتجاهلون ويصدرون أوامر.. هذه القيادة الهزيلة هى التى تسببت فى كل هذه المصائب.. والحقيقة أنه لا توجد قيادة للجيش المصرى فى فلسطين.. نفس التقاليد العتيقة.. ونفس المظاهر والتمثيل بدون إنتاج.. لقد كون اليهود جيشًا به دبابات وقوة دافعة فى أربعة أشهر.. واستطاعوا أن يقطعوا أوصال الجيش المصرى.. ويعزلوه فى جيوب متفرقة.. ويقطعوا خطوط مواصلاته فى عملية استغرقت ثلاثة أيام».

«أما قياداتنا فعاجزة كل العجز.. لا يوجد عسكرى واحد احتياطى ليستعيدوا به الموقف.. ففكروا فى كل شىء، وهو الهرب والنجاة بأنفسهم.. كان (أحمد) المواوى (قائد الحملة) عاجزًا.. فإنه قائد بدون جنود، وبدون جيش.. اللواء الثانى منعزل فى أسدود.. واللواء الرابع منعزل فى النقب.. واللواء الجديد فى مصر منذ خمسة أشهر لم يكمل تدريبه.. أما اليهود فقد كونوا سلاح طيران سيطر على الجو طوال مدة العمليات».

وصل غضبه إلى مداه يوم (28) أكتوبر (1948): « ..قادتنا المنافقون يصدرون بلاغات كاذبة. بعدما استولى اليهود على بئر السبع فعلًا رغم تكذيب (محمود فهمى) النقراشى (رئيس الحكومة).. وبالرغم من طلبنا تعيينات وذخيرة بواسطة الطيران.. وبالرغم من أن طلباتنا لم تجب.. ولم يلتفت إليها.. فسنقاوم إلى آخر رجل.. لقد فقدنا الإيمان فى قيادة الجيش.. وقيادة البلاد.. هؤلاء المضللون الممثلون.. ماذا عملوا بعد أن دخلنا الحرب..؟ لا شىء.. لم تصل أى إمدادات للأسلحة التى دخلنا بها». هذه اليومية بتوقيتها ومشاعر غضبها، تكاد تؤرخ للبداية الحقيقية للثورة فى قلب رجل، كأنها نقطة تنوير مبكرة فى نص روائى طويل.

**(2)**

كانت أولى يومياته الشخصية غامضة وشفرتها يصعب فكها. سجل يوم (3) يونيو (1948) أنه عرف فور وصوله إلى غزة أن «محمود بك لبيب» موجود فى معسكر المتطوعين. ذهب إلى المعسكر ليلتقيه، لم يجده، وفى الطريق قابله مع الشيخ «محمد فرغلى» حيث اتفقوا أن يصلوا الجمعة سويًا باليوم التالى. رغم غموض طبيعة العلاقة، التى لم يشر إليها من قريب أو بعيد، لا بالتصريح ولا بالإيحاء، فإن القصة المقتضبة بكلماتها وحروفها تكتسب قيمتها التاريخية من أن الرجلين من قيادات جماعة «الإخوان المسلمين».

الأول، أبرز قادتها العسكريين وأكثرهم نفوذًا وتأثيرًا داخل الجماعة. والثانى، عضو مكتب الإرشاد وخازن سلاحها. قبل الموعد المضروب للحديث، ربما عن أحوال المتطوعين وأوضاع القتال جرى تكليف «عبدالناصر» بمهمة استكشاف فى «دير سنيد» و«المجدل» و«أسدود»، حيث قابل فى المحطة الأخيرة «عبدالحكيم عامر». حتى نهاية اليوميات مطلع (1949) لم يأت على ذكر «محمود لبيب» والشيخ «فرغلى» مرة أخرى.

يسهل استنتاج أن هناك صلة سابقة مع الضابط المتقاعد «محمود لبيب»، وبدرجة أقل مع الشيخ «محمد فرغلى». «لبيب» مات قبل ثورة يوليو.. و«فرغلى» من الذين ناهضوا داخل مكتب الإرشاد التعاون مع «يوليو»، أو حل الجهاز الخاص، واتهم بالضلوع فى محاولة اغتيال «عبدالناصر» عام (1954) وحكم عليه بالإعدام. كان الصدام مروعًا.

السؤال هنا: ما حجم ودور الجماعة فى حرب فلسطين؟

كانت أعداد متطوعيها حسب التقديرات الرسمية فى حدود (123) رجلًا عملوا تحت قيادة الحاج «أمين الحسينى» مفتى فلسطين وتمركز نشاطهم فى منطقة غزة، حيث قابل «عبد الناصر» القيادتين الإخوانيتين.

تولى مسئولية هؤلاء المتطوعين «محمود الشريف» شقيق «كامل الشريف»، وكلاهما حصل، فيما بعد، على الجنسية الأردنية. لا يوجد إحصاء آخر لأية أعداد قد تكون التحقت بهم بعد بدء الحرب، ولا جرت دراسة مدققة فى التكوين الرئيسى للمتطوعين المصريين باختلاف توجهاتهم من عسكريين ومدنيين.

بأية قراءة فيما هو منشور ومتوافر من وثائق وبرقيات الحرب فإن ما قامت به الجماعة، لا يقارن على أى وجه بما قام به المتطوعون تحت قيادة البكباشى «أحمد عبد العزيز». وقد كان حزن اليوزباشى «جمال عبدالناصر»، الذى ترقى لرتبة الصاغ يوم الأربعاء (28) يوليو، عميقًا على استشهاد البطل «أحمد عبدالعزيز»؛ «علمت اليوم، (23) أغسطس، خبرًا لم أصدقه لأول وهلة أن أحمد عبد العزيز قتل أمس عند عودته من بيت لحم.. وتفصيل الأمر أن أحمد عبد العزيز وصلاح سالم والوردانى عادوا بعد مؤتمر العرب واليهود بالقدس لمقابلة المواوى.. وعندما اقتربوا من عراق المنشية نحو الساعة 2000 فتحت عليهم نيران من المواقع المصرية.. فكان أحمد عبد العزيز هو الضحية. لقواتنا بعض العذر، فإن اليهود يخرقون الهدنة يوميًا فى هذا المكان.. محاولين

العبور إلى المستعمرات الجنوبية.. قد تألمت جدًا فإن أحمد عبد العزيز كان يحب أبناءه.. وكان فى عز مجده الذى لم يجاز عليه، ولم يره الشعب ولم يستقبله. مات أحمد عبد العزيز وكله أمل فى الحياة، لقد تألمت جدًا.. لهذه الآمال التى انهارت..».

كان ذلك البطل الذى رحل فى ميادين القتال هو الملهم الحقيقى لمعانى التضحية وسط الضباط الشبان وأثره يتعدى أى قائد عسكرى آخر من رتب أعلى مثل الفريق «عزيز المصرى»، الذى نسبت إليه أبوة «الضباط الأحرار».

تحت اختبار النار اقتنع «جمال عبد الناصر» بصحة ما ذهب إليه «أحمد عبد العزيز» من أن التغيير يبدأ من القاهرة. يستلفت الانتباه فى يومياته أن أعدادًا كبيرة من الضباط والجنود الأقباط شاركوا فى الحرب ودفعوا فواتير الدم؛ من هذه الأسماء الضابط «كمال بشارة»، وقد شارك «عبد الناصر» تجربة الحياة والموت والنوم فوق بطانية واحدة والتغطى بأخرى، الثقة فيه بلا حد والإعجاب بنسقه الأخلاقى والعسكرى مسجل بخط يده، حين وبخ من تورطوا فى التمثيل بجثث القتلى اليهود فى منطقة المحجز يوم السبت (2) أكتوبر. لا توجد معلومات عن «بشارة»، أو ما إذا كان «عبد الناصر» قد فاتحه فى الانضمام للضباط الأحرار،

وقد كان خلو التنظيم من أية شخصية تنتمى إلى الديانة المسيحية مادة اتهام طاردت التنظيم كله. لم يكن ذلك صحيحًا على أى وجه ومن أى زاوية فى نظر قائد «الضباط الأحرار» إلى الحرب وأبطالها وضحاياها.

فى اليوميات لا تخفى إشارات مبطنة عن اتصالات ما وخطابات ترسل إلى القاهرة فيما بين أعضاء التنظيم، تكررت على نحو لافت أسماء قدر لها أن تلعب أدوارًا محورية فى المستقبل كـ«زكريا محيى الدين» و«خالد محيى الدين» و«صلاح سالم» و«ثروت عكاشة» و«حمدى عاشور» و«حسن إبراهيم» و«حسن التهامى» و«لطفى واكد». كان الاسم الأكثر تكرارًا «عبد الحكيم عامر»، أو «حكيم» كما كان يكتب اسمه، بصورة تبدت فيها صداقة شخصية وعائلية عميقة. لم يكن «عبد الناصر» وحده من كتب يومياته أثناء حرب فلسطين.

عادة التدوين شملت ضباطًا آخرين من جيله، بينهم «زكريا محيى الدين»، التى لم يتسن نشر يومياته وما زالت مودعة فى أرشيف عائلى بين أكوام ورق تعود لفترة تأسيسه عام (**1953**) للمخابرات العامة المصرية.

غاب تمامًا أى ذكر، من قريب أو بعيد لـ«اللواء «محمد نجيب»، رغم أن الأخير ذكر فى شهادة منشورة أنه تعرف أثناء حرب فلسطين على «جمال عبد الناصر» و«كمال الدين حسين» عن طريق «عبد الحكيم عامر».

بغض النظر عن أية تقديرات سياسية للرجال والأدوار مما يحسب لـ«نجيب» تحمله مسئولية الموقف الصعب، الذى كان ممكنًا أن يدفع ثمنه حياته مع «عبد الناصر» ورفاقه.

لم يكن قائد الحدث الكبير لكن وجوده على رأسه ساعد بقسط وافر فى نجاحه، بتحفظ واقتضاب أشار «عبد الناصر» يوم الثلاثاء (6) يوليو إلى لقاء أول وأخير جمعه بالملك «فاروق». «حضر صاحب الجلالة الملك للمرور على المواقع ووصل إلى أقصى المواقع الأمامية»، لم يزد حرفًا واحدًا.

**(3)**

تحت وهج النيران على الخط الفاصل بين الحياة والموت كاد أكثر من مرة أن يستشهد، «كان الرصاص يمر فوق رءوسنا.. حاولنا معرفة مواقع العدو ولكنها كانت مختفية فاستترنا خلف

إحدى الحمالات.".."لاحظت أن هناك دمًا يتساقط على القميص.. فسألت الجاويش عبدالحكيم، الذى أخبرنى أن هناك جرحًا بسيطًا فى ذقنى.".. «ثم قمت للعودة.. فقام العدو بإطلاق نيران شديدة على الحمالة فشعرت أنى أصبت فى الصدر من الجهة اليسرى.. ونظرت فوجدت أن الدماء تبلل القميص حول الجيب الشمال وأن القميص به خرم متسع.. وكان محل الإصابة يظهر فى منتهى الخطورة.. فوق القلب».

أخبره الطبيب أنها شظية وليست رصاصة، وجرى نقله إلى مستشفى المجدل،«فى غرفة العمليات وُجدت شظيتان بالجرح».

«ارتفعت روحى المعنوية وحمدت الله فأول ما خطر على بالى عند الإصابة كان الأولاد وأمهم.. والحقيقة أنه عندما عرفت محل الإصابة.. فقدت الأمل فى النجاة ولكن الله كريم».

هكذا كتب يوم الاثنين (12) يوليو (**1948**)، ثم عاد يوم الأحد (12) سبتمبر ليروى قصة أخرى أطل فيه الموت على المكان.. «الحمد لله.. دخلت فى حقل ألغام بنوع من الخطأ.. وخرجنا بعون الله..وفى العودة اصطدمت بعربة من ك..ا ولكن الله سلم..».

لم يدع أى شجاعة وقابل قدره برضا وسرى فى يومياته إيمان عميق بأن هناك ما يستحق الموت من أجله.

الحرب اختبار رجال أمام الموت المحتمل فى أية لحظة واختبار للمعانى التى يقاتلون من أجلها.

# لجان العمل الصحي تحذر من نكبة جديدة تكرسها صفقة القرن

أكدت «لجان العمل الصحي» على أن العودة حق مقدس فردي وجماعي ولا يملك أي كان التنازل عنه أو التفاوض عليه، ما يعني على المجتمع الدولي إحترام مقرراته وعلى رأسها قرار 4 ا القاضي بحق الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم التي اقتلعوا منها وتعويضهم عن سنوات اللجوء والحرمان.

ودعت اللجان في بيانٍ لها بذكرى النكبة الفلسطينية الـ 71، يوم الأربعاء، إلى ضرورة وقف حالة الانقسام السياسي الفلسطيني والمسارعة لتشكيل جبهة موحدة لمواجهة صفقة القرن والمؤامرات التي تحاك بحق القضية الفلسطينية والتي في حال مرت ستكون النكبة الجديدة التي سيرزح الشعب الفلسطيني لعقود تحت وطأتها.

وأضافت «على الشعوب العربية التحرك الميداني والسريع لإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية لتتربع على رأس الأولويات الرسمية والشعبية ويعود لها الزخم لأن التراخي سيشكل المدخل لتوطين اللاجئين وسلب فلسطين بالكامل."

كما جدّدت الرفض «لضم الجولان العربي السوري المحتل لدولة الاحتلال وكذلك الاعتراف بالقدس عاصمة للاحتلال الإسرائيلي."

هذا وحذّرت المؤسسة «من مخططات الحكومة الإسرائيلية بسط سيادتها على الضفة الغربية وكذلك من مغبة تصفية وكالة الغوث الدولية."

وقالت لجان العمل الصحي إن «ورغم المأساة تزايد عدد الفلسطينيين في المنافي والشتات وداخل وطنهم حتى وصل اليوم إلى 13,1 مليون نسمة منهم 6,4 مليون يقيمون على أرض فلسطين التاريخية والباقي في مخيمات اللجوء وبلدان الشتات."

وأوضحت أن «قرار الإعتراف بالقدس عاصمة لكيان الاحتلال يستهدف الوجود الوطني التاريخي للشعب الفلسطيني والذي يستبق نية إدارة الرئيس الأمريكي أصدار شهادة وفاة للحلم الفلسطيني عبر ما بات يعرف بصفقة القرن وسط صمت دولي مريب وتراجع عربي غريب."

# مُراجعة مرتبطة بالتحريض «الإسرائيلي" التربية ترد على الاتحاد الأوروبي بشأن مُراجعة المنهاج الفلسطيني واتهامه بـ «التحريض"

أوضحت وزارة التربية والتعليم، أن «رغبة الاتحاد الأوروبي بإجراء دراسة حول المناهج الفلسطينية أمر مرتبط بتزايد وتيرة التحريض من قبل مؤسسات إسرائيلية ومجموعات الضغط الدولية المرتبطة بها، في الوقت الذي تتجاهل فيه هذه المؤسسات التحريض الكبير الذي تتضمنه المناهج الإسرائيلية على الفلسطينيين والعرب، وهو ما أثبتته عديد الدراسات التي أجريت حول هذا الأمر».

وقالت الوزارة في بيانٍ لها، أن «الدراسة المُشار إليها، هي مبادرة أعلن الاتحاد الأوروبي عن نيته إنجازها نيابةً عن الدول والبرلمان الأوروبي، وأن الوزارة ما زالت في مرحلة البحث عن تفاصيل ما ينوي الاتحاد الأوروبي القيام به بهذا الشأن»، مُؤكدةً أنه «بالرغم من قيام العديد من الجهات سابقًا بدراسات حول المناهج لدواعٍ مختلفة، إلا أن عملية تطوير المناهج تمت بأيدٍ وعقولٍ فلسطينية، ووفق اعتبارات فلسطينية، وبشكلٍ يتسق مع المعايير الدولية الخاصة بتطوير المناهج، وهو ما أشارت إليه العديد من الجهات، وأكدته شهادات للخبراء الذين أطلعوا على هذه المناهج بعد صدورها، كما جاء في شهادة الخبراء اليابانيين على سبيل المثال».

وأعلن الاتحاد الأوروبي أنه «سيقوم بإجراء مُراجعة للكُتب المدرسيّة الفلسطينيّة الجديدة، من قبل معهد أبحاث مُستقل ومُعترف به دوليًا، بهدف البحث في احتمال وجود «تحريض على العنف والكراهية»، وعدم تلبية معايير «اليونسكو» للسلام والتسامح في التعليم، على حد زعمه.

جاء ذلك على لسان وزير خارجيّة الاتحاد الأوروبي، فيدريكا موغريني، قائلةً «إنّ التحريض على العنف لا يتوافق مع السير في الحل القائم على حل الدولتين ويُساعد على انعدام الثقة بين الشعوب.»

ويأتي القرار الأوروبي بعد أن أقرّ البرلمان الأوروبي قانونًا في نيسان/ابريل 2018 «لمنع محتوى الكراهية في الكُتب المدرسيّة الفلسطينيّة»، بالإضافة إلى إجراء إحدى المنظمات غير الحكومة دراسة تقول بأنّ «الكتب الفلسطينيّة أكثر تطرّفًا ممّا كانت عليه في الماضي، وحرّضت على الكراهية والسلام مع إسرائيل».

ويأتي هذا القرار والتقرير المُرافق له بشيطنة المناهج الفلسطينيّة بالتزامن مع مُحاولات تمرير ما يُسمى «صفقة القرن» التي باتت على الأبواب بعد أسابيع قليلة حيث ستُعلن عنها الإدارة الأمريكيّة، ومنها ما تم تمريره بالفعل.

# فلسطين ما بين سايكس-بيكو وصفقة القرن: اليهودية في أوروبا وأساس العداء للسامية (ج ٢)

حاتم استانبولي – كاتب فلسطيني

فكرة الدولة اليهودية في فلسطين هي فكرة رأسمالية ولا يمكن الحديث عن سايكس بيكو بدون التطرق الى اسباب نشأة الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية (التي أوكل إليها تنظيم مبرمج للهجرة اليهودية الى فلسطين).

أنشات الحركة الصهيونية عام 1897، بناءً على ضرورة لاستمرار دور رأس المال (اليهودي) المستقل عن النظم الرأسمالية وفي مرحلة تطور محددة من تطور رأس المال، فرضت نظمًا رقابية وطنية على حركته وتمركزه، إضافة إلى فرض نظم ضريبية على حركته.

لقد ارتبط رأس المال (اليهودي) بنزعة استقلالية، كانت انعكاسًا لنزعة اليهود (الدينية) الدائمة لإيجاد موقع مستقل عن المجتمعات التي عاشوا ضمنها عبر العصور.

وعليه؛ فإن أسباب النزعة العدائية للجماعات اليهودية جاءت بأوضح تجلّياتها في الإصدارات الأدبية لكبار الأدباء الأوروبيين، واتّسمت بالشمولية ما بين روسيا وبريطانيا، وشملت كل المملكات والإمبراطوريات التي مرت على المكان عبر الزمان منذ عهد القنانة وحتى ظهور النزعة العدائية وتناميها (لليهودية) في مراحل الحروب القومية ما بين الرأسماليات المتشكلة في أوروبا.

إنّ التدقيق برسالة الكاتب الكبير تيودور ديستوفسكي حول المسألة اليهودية، ونقاشه لها وتحليله للشخصية في قصته الجريمة والعقاب حول دور الشخصية اليهودية (المرابية). إذا ما أضفنا إليها كتابات الكاتب المسرحي الكبير شكسبير (تاجر البندقية) ودققنا بما كتبه فولتير (كانديد) و(كافكا اليهودي) قصته المتحول، وتشارلز ديكنز في قصته (أوليفر تيست)، وغيرها من القصص الأدبية والروايات التي لخصت دور الشخصية اليهودية كمرابية ولص يستغل الأطفال، ودور الأب في قهر أبنائه. كل هذا يشرح دور الشخصية اليهودية في أوروبا، ودورها واللافت للنظر في قراءة التاريخ من منظور نقدي مدقق، يستطيع الوصول إلى أسباب الكراهية الشديدة للجماعات اليهودية التي كانت تتفجر في كل مرحلة من مراحل التاريخ تشهد ضعفا للسطات المركزية أو انتقالًا من مرحلة إلى أخرى.

إن شخصية اليهودي ودوره التي جاءت في الأدب، كانت تعكس دورهم في المجتمع كمرابين وتجار رق ودعارة وجامعي ضرائب للأمراء والسلاطين والأرستوقراطيين، وكانوا هم الحلقة الأضعف في سلسلة القمع والاضطهاد، اللذان كانت تعاني منه المجتمعات على امتداد القارة الأوروبية، وقد تمت حمايتهم في عدة عهود، إن كانت في عهد حملات الفرنجة حيث كانوا في حماية حكم الإمبراطورية الكارولينجية؛ حيث أصدر هنري الرابع عدة مواثيق عام 1090 يؤكد حقوقهم التي حصلوا عليها في العهد الكارولينجي، بشأن حماية ممتلكاتهم وأرواحهم، وتؤكد حرية السفر والعبادة لكل أعضاء الجماعات اليهودية، وأكد على إعفائها من المكوس (الجمارك ورسومها) والضرائب التي تفرض على المسافرين، وكان لهم حق التقاضي فيما بينهم، وحق الفصل في الأمور اليهودية، أي كانت لهم إدارتهم الذاتية.

وجاء فردريك الأول ليؤكد على حماية الجماعات اليهودية، حيث أصدر ميثاقًا عام 1157 استخدم فيه مصطلح (أقنان البلاط) كوصف للجماعات اليهودية، هذا يعني أنهم يملكون الحماية من السلطة الملكية، واعتبروا ممثليهم أمام الجمهور والتصاقهم بالسلطة الإقطاعية، ويتحملون وزر أعمالها وشرورها من قبل الفلاحين الفقراء.

أما فردريك الثاني في النمسا فقد أصدر عام 1244 نظامًا ضريبيًا، وأقر قانونًا

يوضح فيه قيمة الفوائد على القروض، ينص على أن تكون نسبتها 173%، حيث كانت القروض تمنح بضمان رهونات، أو إذا لم يتمكن المَدين (من استدان) من تسديد دينه يحق للمرابي الاستيلاء على الرهن، وهذا كان مشروطًا بمدّة زمنية وكان يعلم المرابي مسبقًا أن المدين لن يتمكن من سداد دينه. وإذا كان الرهن مسروقًا (كالحُليّ الذهبية والفضية) فإن من حق المرابي أن يحتفظ بها إذا ما أكد أنه لا يعلم بأنها مسروقة، وهذا فتح بابًا للتعاون بين المرابين واللصوص والعصابات والمافيا لاحقًا.

ونتيجةً لهذا الدور ظهرت (تهمة الدم) لليهودية التي كانت تعبر عن امتصاص دم الشعب.

واستمر هذا الدور بالرغم من تغير السلطات والمملكات، فكان دائمًا يعتمد على التصاقهم بالسلطات الحاكمة، وهذا ولد نقمةً عليهم عرفت بمسمى (الكراهية للسامية نتيجة لتهمة الدم)، ارتباطًا بمصدر فكرتهم الدينية ورواياتهم الدينية التي تؤشر الى انتمائهم لقبائل الشرق الأوسط.

المدقق في وصف الجماعات (اليهودية) في غرب أوروبا، أو القبيلة (اليهودية) في روسيا، يتضح له أنهم كانوا يصرون على العيش كجماعة منفصلة عن المجتمع المحيط، وكانوا دائمي التنقل بين المملكات والإمبراطوريات، وهذا التنقل أكسبهم صفة المعرفة بالطرق والتجارة ومراكز تلاقي المواصلات، حيث كانوا يأخذون منها مكانًا لتجارتهم، أما تواجدهم في المدن فقد وافقوا أن تكون لهم «جيتوات» منفصلة، ليمارسوا فيها طقوسهم الخاصة.

وبالرغم من أن العداء والكراهية كانت نتيجة لأعمال المرابين والفئة التي كانت تخدم في قصور الأمراء والسلاطين والبلاط الإمبراطوري، إلا أنهم كانوا دائمًا يحتمون بالفئات اليهودية الفقيرة، التي كانت تعاني كبقية أفراد المجتمعات، وكان المرابون وأقنان البلاط يُصرون على استصدار قرارات للحماية الشاملة لجميع أفراد الجماعات اليهودية، ومنع بيع اليهود الفقراء، وأن لا يكون التعامل معهم كعبيد أو رقّ.

هذه القرارات كان سببها حماية أنفسهم (المرابون وأقنان البلاط) من الغضب الشعبي عليهم، فعندما كانت موجات الكراهية تعمّ في أوروبا على السلاطين والملوك والأمراء والأرستوقراطيين، كان اليهود الفقراء هم من يتحملون وزر أفعال المرابين وأقنان البلاط.

لقد جرت محاولات عديدة لدمج الجماعات اليهودية في المجتمعات التي تعيش بها، لم تنجح معظمها، سوى محاولة نجح بها نابليون بونابرت في دمجهم واعتبارهم مواطنين تنطبق عليهم واجبات وحقوق الفرنسيين، وفرض عليهم تغيير مهنهم التي كانوا يمارسونها من مراباة ودعارة وتجارة رقيق.

وجرت محاولات تنصيرهم في ألمانيا، بعد ظهور مارتن لوثر، الذي طرح أفكاره حول المسألة اليهودية التي كانت تتمحور حول تنصير اليهود.

استخلاص هذه المرحلة، ما قبل مؤتمر بازل الصهيوني 1897، كانت تتسم بأن الإنجازات اليهودية في أوروبا كانت مهددة، بفعل تطور القواني، المرتبط بظهور الدولة الحديثة، والتي كانت تعتمد المواطَنة المدنية أساسًا للعلاقة بين الفرد والدولة، ناهيك أنّ تطوّر الرأسمالية فرضَ تطوير آليات عمل منظومتها الداخلية، وخاصة المالية منها، ممّا شكّل خطرًا على استقلالية رأس المال (اليهودي)، الذي كان قد دخل في صراع مع رأس المال الكنسي، الذي وجه ضربة قاصمة للمرابين اليهود، عبر إقرار النظام البنكي والضريبي.

إن ظهور الحركة الصهيونية كان ضرورة لإيجاد كيانٍ سياسيٍّ مستقلّ لليهود، بعد أن تصادم استقلال وجودهم مع تطور الدولة المدنية، وأصبحت متطلباتها تعني انصهارهم في المجتمعات التي يعيشون فيها.

وفي هذا الصدد، فإن الجماعات اليهودية على اختلاف مشاربها واجهت سؤالًا تجب الإجابة عليه، بعد أن فقدت الكثير من أفرادها من خلال عملية التنصير أو الانحلال في المجتمعات، مما يُفقِد رأس المال (اليهودي) مبررات استقلاليته وحمايته؛ ألا وهو: كيف يمكن الحفاظ على الدور المستقل والفاعل لرأس المال اليهودي؟

إن فكرة الدولة اليهودية في فلسطين هي فكرة رأسمالية، استُند فيها إلى البعد الديني الغيبي في استحضار المبررات اللاهوتية، من أجل الهجرة إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية (للشعب اليهودي)، هذا المصطلح لم يكن موجودًا سوى في الرواية التلمودية، وهي بالواقع وعبر التاريخ فإن التعامل مع اليهود ورد في التاريخ كجماعات وقبائل منتشرة في أوروبا جاءت من شمال أفريقيا وانتشرت فيها بعد سقوط الأندلس، حيث كان اليهود متحالفين مع الدولة الإسلامية، ويعملون في بلاط سلاطينها.

إن الدولة اليهودية (المنشودة) يجب أن تحظى بذات الحماية التي حظيت بها الجماعات اليهودية في أوروبا.

أما السؤال الأهم الذي يجب أن نطرحه نحن الفلسطينيون: لماذا لم تعُد الجماعات اليهودية أو القبائل اليهودية إلى فلسطين، قبل 1897م؟ إذ كانت أعدادهم في فلسطين كقبيلة 17000 نسمة، في حين كانوا في روسيا وألمانيا وبولندا ما مجموعه 5,500,000 نسمة.

النظرة المتفحصة والنقدية لدور اليهود في التاريخ الإنساني تُبيّن أنهم كانوا دائمًا إلى جانب السلطات الحاكمة ضد الشعوب، وكانوا دائمًا يتعاملون كجماعات يحتمي أغنياؤها بفقرائها، وكانوا يستقرّون في المناطق الأكثر فقرًا واضطرابًا، والأقل وعيًا، ليتمكّنوا من فرض دورهم كمستشارين وجامعي ضرائب ومُرابين للحكومات والسلاطين والأمراء والأرستقراطيون.

كما يجب تسجيل أن الكثيرين ممن نقد اليهود هم من أبناء جلدتهم، وممّن تخلّوا عن يهوديتهم، والكثيرون منهم كانوا رواد فكر إنساني عندما تخلّوا عن جوهر الفكرة التلمودية، التي أشار إليها ديستوفسكي في رسالته حول (المسألة اليهودية) لبعض منتقديه من المثقفين اليهود.

# سرقة أرض فلسطين من أهلها: نكبة أم مظلمة؟

محمد صالح التومي- المعروفي
كاتب عربي تونسي

**من عام إلى آخر ومع حلول الخامس عشر من شهر مايو/أيار، بل ومن عقد إلى آخر، تعود الذكرى الأليمة التي تم الاصطلاح على الإشارة إليها بذكرى «النكبة»؛ يؤلمني شخصيا هذا المصطلح لأنه ولئن كان هدفه التعبير عن المصيبة ذات الهول التي حلت حقا بكياننا الجمعي كقومية عربية ذات أرض معروفة ولسان موحد وخصائص نفسية وثقافية مميزة، فهو يَشي في بعض جوانبه باستبطاننا مسبقا لدرجة من الاستسلام ومن الهزيمة، والحال أن الحديث عن نكبة بالمفهوم الدقيق للكلمة غير جائز بالمرة مادام هناك ومنذ البدايات فعل رافض ومقاوم؛ فنحن هنا وبكل تأكيد أمام حرب مصطلحات، وهي حرب مستعرة على الدوام، وأعداؤنا يتقنونها لأنهم يعتبرونها جزءا من الحرب النفسية التي يخوضونها ضدنا، وقد يسقطوننا - بوعي منا أو بدون وعي – في أحابيلها ومطباتها ، فمن هنا يتوجب الانتباه عند استعمال المصطلحات أو صياغتها أو توليدها حتى لا نتوه في الدروب المركبة والمعقدة لأحداث الحياة.**

إن ما وقع حقا يوم 15 مايو/أيار 1948 هو فقط إعلان عن مظلمة متمثلة في قيام دولة للصهاينة تجسيدا بواسطة العنف والإرهاب والتهجير لقرار التقسيم غير المشروع لفلسطين المتخذ قبل أشهر قليلة من ذلك وتحديدا يوم 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، ذلك القرار الحامل لرقم 181 والصادر عن الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة! هو الذي يجب اعتباره مربط الفرس في حقيقة الأمر لأنه هو الذي توج بقوة «القانون الدولي» (ترى ما معنى القانون الدولي هنا !)... مرحلة كاملة من مراحل مخطط قديم وسري ومتواصل يرمي إلى سرقة فلسطين وافتكاكها من أهلها ونهبها؛ وقد تجسم هذا المخطط عند النهاية – ويا للعجب العجاب – على مرأى ومسمع من «الجميع» بل وبتزكية من هؤلاء «الجميع» تقريبا (1)، وذلك إذا ما وقفنا عند أسماء الدول التي شاركت من موقع متقدم في عملية اختلاس الأرض وسرقتها من أهلها ألا وهي: بريطانيا وأمريكا وفرنسا، وثلاثتها دول استعمارية معروفة، ولكنها فعلت ذلك بالتوافق التام – ويا للأسف الشديد – مع دولة الاتحاد السوفييتي وهي دولة تعتبر سياساتها من حيث المبدأ نقيضة لسياسات تلك الدول، بل إن وقوع هذا «الأمر العجاب» لا يقف عند حدود دور الاتحاد السوفييتي وحده فيه، إذ يتعداه إلى دور أغلبية دول العالم المستقلة آنذاك والتي وافقت هي الأخرى عند التصويت على قرار التقسيم.

والمهم أن الدول التي في المقدمة أي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي هي التي انتصرت آنذاك مثلما هو معلوم في الحرب العالمية الثانية على النازية والفاشية لكنها انصاعت (ونحن نستعمل عبارة الانصياع هنا عن قصد) للدخول تحت مظلة «سيناريوهات» محكمة نورامبارغ (2) التي رسمت «المحرقة» أو «الشو- وا» أو «الهولوكوست» في المخيال الجماعي العالمي كما أراد أن يرسمها « القائمون على شؤون «فئة فقط من ضحايا هذه الحرب الماحقة، ونعني بهذه الفئة من الضحايا صغار اليهود في حين نعني بالقائمين على شؤونهم من يسمون أنفسهم بكبار اليهود (3) وهم الصهاينة بمعنى آخر، الذين استغلوا ما وقع لليهود الصغار (كما يسمونهم هم بأنفسهم)... من مآس لا يجب ولا يمكن نكرانها من قبل أي شخص عادل وناشد للإنصاف، فنفخوا في بعض تفاصيلها وأعملوا فيها زيادة ونقصانا حتى باتت الحرب العالمية الثانية عنوانا يكاد يكون حصريا لتلك المآسي وحدها، ومثلما حاولوا هم رسمها زيادة

على ذلك في محكمة نورامبارغ بغاية إعطائها طابعا قانونيا نهائيا، والحال أن هذه الحرب الظالمة قد خلفت في الحقيقة كوارث أخرى، لعل أكثرها فظاعة – نوعيا- ما وقع في هيروشيما وناقازاكي باليابان.

أين جرب بعض المجرمين القنبلة النووية لأول مرة في التاريخ البشري تاركين مئات الآلاف من الضحايا من الأطفال والأمهات والشيوخ والمدنيين ؟ أما- كميا - فلقد كانت هذه الكوارث عديدة، ولعلها لا تحصى ولا تعد، فيكون من الظلم أن يقع حصرها في «ضحايا الهولوكوست» وحدهم.

وما دمنا في هذا النطاق، فإننا حتى إذا سلمنا بصحة رقم الستة ملايين ضحية يهودية الذي أقرته محكمة نورامبارغ، وهو رقم أصبح موضع شك، بل موضع مراجعة من قبل جمهور المؤرخين الموضوعيين ومنهم حتى بعض المؤرخين اليهود الخارجين عن الفكر الصهيوني... وذلك لأن هؤلاء المؤرخين كلهم وجدوا في هذا الرقم نزوعا نحو المبالغة والتضخيم، فأقدموا على هذه المراجعة، رغم أن هذه المراجعة تم تجريمها من قبل التشريعات الجزائية بألمانيا وفرنسا وبريطانيا، وهو تجريم غريب لأنه لا دخل مبدئيا لقانون العقوبات الجزائية في ميدان حرية البحث التاريخي والأكاديمي، وخاصة في البلدان التي ترفع عاليا يافطة حقوق الإنسان!

قلنا، وحتى إذا سلمنا بصحة هذا الرقم فإنه من المعروف أن ضحايا تلك الحرب - التي تبقى أسبابها العميقة غامضة وتستحق البحث عنها بعناية – كانوا في الحقيقة بعشرات الملايين من كل شعوب الأرض التي دارت فوق أرضها رحى الحرب، ومن ضمنهم أكثر من عشرين مليونا بالاتحاد السوفييتي وحده (أي بروسيا وملحقاتها القيصرية كما تشكلت بعد الثورة البلشفية). وهؤلاء العشرون مليونا هم الذين تصدوا ببسالة نادرة كما هو معلوم للدفاع عن روسيا وعن الاتحاد السوفييتي، وهم الذين ستبقى معركة ستالينغراد (4) شاهدة أبدية على بطولاتهم وتضحياتهم؛ فلماذا لم يقع الحديث عن «هولوكوست» في شأن كل هذه العشرات من الملايين من غير اليهود ؟ أليسوا آدميين مثل غيرهم ؟

إن كل بشر ولو كان فردا واحدا سقط في الحرب الكونية الجائرة يعتبر ضحية، ولا فرق بينه وبين غيره أكان يهوديا، أم مسلما، أم بوذيا، أم مسيحيا، أم ملحدا، أم منتميا لغير ذلك من المعتقدات، وإن التفريق بين الضحايا على أساس اللون، أو المعتقد، أو المذهب الفلسفي، أو الانتماء القومي، أو القبلي، أو الإثني، لا يمكن التعامل معه إلا كعمل تشوبه لوثة العنصرية والتمييز. فيبقى السؤال عند النهاية: لماذا ركزت محكمة «نورامبارغ» إذن على الضحايا اليهود بصورة أساسية وتجاهلت غيرهم ؟

فلعله يمكن أن يكون واضحا للجميع هنا وجوابا على هذا السؤال أن الأمر تم فقط من أجل خلق أسطورة جديدة تجبر ما يسمى بالضمير الأوروبي على المساهمة في «سرقة أرض فلسطين» وتقديمها نهبا إلى «الصهاينة»، أي إلى كبار اليهود الذين سيحصلون عليها نيابة عن الضحايا الفعليين من صغار اليهود، تكفيرا عن الذنب الذي «ارتكب» في حق هؤلاء الصغار، من طرف النازيين. ما يعني أنه لم يرتكبه طبعا أهل فلسطين، فلماذا يدفع شعبنا بفلسطين الثمن ؟

وبطبيعة الحال فإنه لا يهم البتة في هذا السياق الأسطوري من هو الذي ارتكب ذلك الذنب تخطيطا وتنفيذا ؟ أو بأي هدف خفي أو ظاهر قد يكون ارتكبه ؟ فهذا ليس من مشمولات محكمة نورامبارغ التي لو كانت هيئة قضائية نزيهة ومستقلة، لكان هدفها البحث عن الحقيقة في كامل تجلياتها وعدم الاكتفاء برواية بعض «الغالبين». ولكن هذه المحكمة كانت مفتقرة إلى عنصري الاستقلالية والنزاهة، فأصبح ما يهمها إنما هو الوصول فقط إلى الأهداف المرسومة مسبقا؛ فمن رسمها يا ترى ؟ وأين وكيف رسمت ؟

و هكذا فإنه حال انتهاء هذه المحكمة غير المستقلة من أعمالها في تشرين الأول 1946، تم استصدار القرار « الأممي» القاضي بالتقسيم في تشرين الثاني 1947، ثم تطبيقه على أرض الواقع بواسطة الإرهاب الفظيع يوم 1 مايو 1948، وذلك بإعلان قيام الكيان الصهيوني على حساب شعب آمن ظل يعيش في تلك الأرض زمانه، وعليها شيد في التاريخ عمرانه، وهناك زرع زيتونه وبرتقاله وتفاحه ورمانه، وأبدع في رحابها أدبه وأشعاره و ألحانه ، ألا وهو الشعب الكنعاني- الفلسطيني، الذي تم ظلمه بهذه الصفة ظلما تاريخيا لن يتأتى لكل الكلمات بكل لغات الدنيا حتى مجرد وصفه وبيانه.

الهوامش:

(1) من جملة 52 دولة عضوة آنذاك ب«الأمم المتحدة» صوتت 30 دولة لفائدة قرار التقسيم و13 دولة ضده، في حين امتنعت 9 دول فقط عن التصويت ومن ضمنها تمويها المملكة المتحدة أي بريطانيا (بوصفها كانت دولة انتداب!) لذلك نحن نحتسبها في حديثنا هنا من الدول الكبرى الموافقة.

(2) محاكمة نورمبرغ، هي من أشهر المحاكمات التي شهدها التاريخ المعاصر، عقدت أولى جلساتها بقصر العدالة بنورمبارغ بألمانيا يوم 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 1945، وآخر جلساتها كانت يوم غرة أكتوبر 1946، واهتمت تحديدا بالفظائع النازية ضد اليهود، وكل دولة من الدول المنتصرة المشار إليها زودت المحكمة بقاض من عندها.

(3) التقسيم بين «اليهود الكبار» و«اليهود الصغار» هو تقسيم شائع ومعتمد اصطلاحا عند مفكرين كثيرين بما فيهم مفكرون منتمون إلى الصهيونية، وقد شاع استعماله منذ الحرب العالمية الثانية، وربما أثناءها.

(4) معركة ستالينغراد هي معركة بطولية فاصلة جرت فوق الأراضي الروسية، ودارت شارعا فشارعا وبيتا فبيتا وشهدت انتصار القوات السوفييتية، وأشارت إلى لبداية التراجع الألماني في الجبهة الشرقية، وتبددت معها أحلام ما يسمى بالرايخ الثالث.

# نتنياهو وحكومته الخامسة

كميل أبو حنيش– أسير: قيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

**انتهت الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة بما أفرزته من نتائج كانت مُتوقعة سلفاً، بل وأعادت استنساخ ذات الخارطة السياسية السائدة في العقد الأخير، وخرج نتنياهو المُنتصر الوحيد من هذه الانتخابات لا يخشى الخصوم السياسيين المرة تلو الأخرى بالإطاحة بهم من سُدة الحُكم، وبعد أن تمكن من ترسيخ دعامته الدائمة في حزب «الليكود» ومُعسكر اليمين بلا مُنازع، حيثُ سعى نتنياهو الى إضعاف حُلفائه التقليديين وتحويلهم الى أحزاب تابعة وضعيفة، وربط قادتها مصيرهم الشخصي والحزبي بمصير نتنياهو، وهي حالة غير مسبوقة في تاريخ الدولة العبرية.**

ونتنياهو المزهو بانتصاره الانتخابي الأخير لم يهزم خصومه ومُناوئيه فحسب، وإنما تمكن وسيتمكن من إخضاع مؤسسات الدولة لإرادته الشخصية والحزبية، في ضوء الحديث عن إمكانية سن قانون في الكنيست الجديد لحماية نتنياهو من المُلاحقة القضائية وإمكانية تقديم لائحة اتهام ضده، وفي حال جرى إقرار مثل هذا القانون فإن المُؤسسة التشريعية التي من المُفترض أنها مُمثلة للشعب ستعمل على شرعنة الفساد الرسمي، فيما ستبقى مؤسسة القضاء عاجزة عن مُحاسبة نتنياهو، وهو ما يكرس الفساد المحمي رسمياً من الدولة ومُؤسساتها، وهذه الحالة فريدة في تاريخ مؤسسات الدولة، وهي تعكس فساد المُجتمع العبري الذي أعاد انتخاب نتنياهو وفساد الأحزاب ومؤسسات الدولة في حال جرى الالتفاف على هذه القضايا وحماية نتنياهو من المُلاحقة، كما تنضوي في المُجتمع الصهيوني الذي لا يُبالي من الفساد الحكومي، وأن أولوياته حتى لم تعُد أمنية كما برزت عليه في سلسلة الانتخابات السابقة، وعلى ما يبدو أن نتنياهو تمكن من إقناع الجمهور بأنه «هو» ولا أحد غير «هو» أفضل لهم من كافة النواحي، وبهذا تأتي الصورة هذه المرة أكثر تركيباً من المرات السابقة.

في الواقع لقد أثبت نتنياهو نفسه كشخصية سياسية قوية في الداخل والخارج، وتفوق رُبما على كافة الزُعماء الذين حكموا إسرائيل، الأمر الذي عزز في أعماقه جنون العظمة السياسي، فهو لا يقبل أن يُقارن بأحد ممن سبقوه بالحُكم، ويرى بنفسه شخصية سياسية فريدة ليس في الداخل الإسرائيلي فحسب، وإنما يرى بنفسه شخصية ذات وزن عابر، وقد وضعته الانتخابات الأخيرة في موقع الرجُل القوي والبارع والمُحنك والداهية رغم ما أحاط به من مُلابسات وما وُجه إليه من قضايا فساد كبيرة، ورغم تحالف ثلاثة جنرالات سابقين مع حزب «يُوجد مُستقبل» بقيادة «يائير لبيد»، تكتلوا جميعاً للإطاحة به إلا أنهم فشلوا وحصل حزبهُ على أعلى الأصوات، وتحطمت أحزاب تقليدية كحزب العمل، فيما ضعُفَ حُلفائه التقليديين في مُعسكر اليمين وبالكاد وصلت ثلاثة أحزاب منها إلى نسبة الحسم، وهو ما يُكرس حزب «الليكود» كأقوى حزب في الدولة، ويُعزز من قوة ومكانة نتنياهو ويفتح الطريق أمامه لحكم إسرائيل لسنوات طويلة في ظل غياب مُنافسين حقيقيين له ولحِزبه.

كما أثبت نتنياهو بأن لديه رؤية استراتيجية مُتماسكة وتتميز بحدتها ومنهجيتها، وتتصادم في كثير من الأحيان مع رؤية مؤسسات الدولة كما في الملف النووي الإيراني وملف التسوية والسياسة الخارجية، بل وفرض رؤيته السياسية والاستراتيجية على مؤسسات الدولة، وإخضاعها لإرادته الشخصية والسياسية، وهذه الاستراتيجية يُثابر نتنياهو على الإمساك بها بمنهجية وعناد، ويُصرُ على متابعتها بصبر وحنكة، كما وأثبت بأنه مُناور بارعٌ ويُحسن استخدام التكتيك السياسي وهو مُحاط على الدوام بجيش من

المستشارين والخبراء والمختصين بالأحاديث السياسية وإدارة الأزمات وتصنيعها، وهؤلاء يحرص نتنياهو على انتقائهم بعناية فائقة، ويُساعدونه في اتخاذ قراراته وإدارة شؤون الدولة.

واستراتيجية نتنياهو تقوم على القوة التي يعتبرها حجر الزاوية في أي عمل سياسي، وأن هذه القوة هي الوحيدة التي من شأنها أن تخلق التحولات وتجلب السلام لإسرائيل، وهذا الموقف هو امتداد لذات الرؤية الصهيونية التقليدية التي عبر عنها «جابوتنسكي» و«بن غوريون» في فكرة الجدار الحديدي، وما أضافه نتنياهو لهذه الاستراتيجية هو الهيمنة الشاملة على المنطقة وليس الاكتفاء بالردع وحسب، علاوةً على تحويل إسرائيل الى قوة عالمية وشريكاً مهماً في القرار الدولي. والقوة التي يُؤمن بها نتنياهو لا تقتصر على القدرات العسكرية وشن الحرب وحسب، وإنما القوة التي تشمل القدرات العسكرية والأمنية والاستخباراتية والاقتصادية والدبلوماسية والعلمية والتكنولوجية.. إلخ، فهذه القوة وكما عبر عنها في كتاباته وكتبه ومقابلاته الصحفية هي الكفيلة بتعزيز علاقات إسرائيل مع الحلفاء وإقناعهم بأن إسرائيل شريك مناسب ومهم وليس مجرد حديث، وهذه القوة أيضاً من شأنها أن تكسب حلفاء جُدد كما هو الحال مع بعض الدول العربية والإسلامية، ومن شأن القوة أيضاً أن تردع أعداء إسرائيل وتقنعهم أنه لا يمكنهم هزيمتها وينبغي التعاطي معها على قاعدة القبول بأمر الواقع والاستسلام لهيمنتها وطموحاتها في المنطقة، وفي حال استمرت هذه الدول في عدائها لإسرائيل لن يكون مصيرها سوى الدمار.

وقد أصر نتنياهو على هذه الاستراتيجية ولم ينتهج أي نهج آخر وقاوم كافة الضغوط الداخلية والخارجية خلال العقد السابق لإعادة إحياء عملية التسوية الميتة التي تحتاجها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي للمساهمة في إدارة أزمات المنطقة، وهو ما أسس لمنهج نتنياهو وعبد الطريق أمام رؤيته السياسية التي يعتزم فرضها في فترة الحكومة الجديدة، فبعد حسم المعركة الانتخابية الأخيرة التي ربما كانت هي الأهم في تاريخ نتنياهو السياسي بات الآن جاهزاً لتطبيق مشروعه السياسي والاستراتيجي، وتخدمه في هذا المشروع إدارة أمريكية طَيّعة كإدارة «ترامب» وهذا المشروع يتلخص بالتالي:

أولاً/ على الصعيد الإسرائيلي الداخلي، فأثناء معركة الانتخابات الأخيرة وما بعدها أقنع نتنياهو ناخبيه وخصومه على حد سواء أنه لا بديل له، وأنه لا يُمكن إزاحته عن الحُكم بأية وسيلة، وأن «الليكود» ومُعسكر اليمين والأهم من ذلك نتنياهو ذاته سيبقى في الحُكم مدة طويلة، وأنه من مصلحة الدولة العبرية بقاءه في الحُكم رغم ما يُثار حوله من تهم بالفساد، وبعد حسم هذه المعركة لصالحه بات المسرح مُهيأً لفرض أجندته الشخصية والحزبية والأيديولوجية على الدولة وبُنيتها واقتصادها وإضعاف سلطة القضاء وتغيير شامل في السياسة الخارجية وعلاقات إسرائيل الإقليمية والدولية، بعبارة أُخرى «إخضاع الدولة لرؤية حزب الليكود الأيديولوجية»، ومواصلة سن قوانين ذات طابع عنصري، وهو ما يوفر الأرضية لإضعاف وتحجيم الحركات والأحزاب المُناوئة لحزب «الليكود» ومُواصلة تضيق الخناق على العرب الفلسطينيين في الداخل وإبقائهم على هامش الحياة السياسية والاقتصادية.

ثانياً/ أما على صعيد عملية التسوية مع الفلسطينيين، وبعد أن جرى تدميرها عملياً وانتهاء حل الدولتين يعتقد نتنياهو بأنه قد حان الوقت لفرض تسوية على الفلسطينيين ترتكز بالأساس على الحُكم الذاتي وفكرة السلام الاقتصادي، وهو يُؤمن أن الفلسطينيين سيُقبلون رغماً عنهم بما يُعرض عليهم إذا اقتنعوا بأن إسرائيل قوية ولا يُمكن هزيمتها عسكرياً ولا حتى سياسياً ودبلوماسياً، وأنه لا يمكنهم الحصول على أكثر مما تُقدمه إسرائيل لهم، أما «صفقة القرن» فهي ليست خطة أمريكية وإنما هي ذاتها رؤية نتنياهو للحل السياسي وجرى إلباسها ثوباً أمريكياً وتبناها «ترامب» رسمياً، أما مضمون هذه الخطة فهي مُجرد الوصول لحكم ذاتي في بلدات ومُدن الضفة الغربية، مع تحسين الأوضاع الاقتصادية، وتكريس فصل قطاع غزة عن الضفة وتأبيد الانقسام الفلسطيني، وإدارة القطاع باعتباره أزمة إنسانية تستدعي مُساهمة العالم في حل هذه الأزمة، وبالطبع مع إلغاء حق عودة اللاجئين والعمل على توطينهم، فيما سيجري ضم الكُتل الاستيطانية الكُبرى في الضفة ومناطق الأغوار تحت السيادة الإسرائيلية، والإبقاء على سيطرة إسرائيل عسكرياً على بقية مناطق الضفة، ويعتقد نتنياهو أن الفرصة باتت سانحة لفرض هذه التسوية في ظل إدارة «ترامب» وضعف الضغوط الدولية على إسرائيل واستمرار حالة الانقسام الفلسطيني وانشغال العالم العربي بحروبه وأزماته الداخلية.

ثالثاً/ أما على الصعيد الإقليمي، فيرى نتنياهو أن سياساته المُتعنتة قد أثمرت، وأنه حقق وحده وليس أحداً غيره اختراقاً مهماً في العالم العربي بعد أن أقنع العرب بأن مُبادرة السلام العربية لن تجلب السلام وأنهم يجب أن يدفنوها بعد أن ماتت، ويتعين عيلهم أن يُباشروا في تطبيع علاقاتهم مع إسرائيل دون ربط هذه العملية بحل القضية الفلسطينية، ويتوقع نتنياهو بأن تجري توقيع مُعاهدات سلام وتطوير للعلاقات السياسية والأمنية والاقتصادية مع عدد من الدول العربية على قاعدة الهيمنة الإسرائيلية الكاملة على المنطقة. ويرى نتنياهو أن تعزيز العلاقات مع هذه الدول من شأنه أن يُضعف الفلسطينيين وأنها ستُمارس ضغوطها عليهم لقبول «صفقة القرن» والمُوافقة على توطين اللاجئين، أما الأهم بالنسبة لنتنياهو هو تدمير ايران، فهو يرى بإيران القوة الوحيدة المُتبقية التي تحول دون فرض إسرائيل هيمنتها الشاملة على المنطقة، ويتبجح نتنياهو أنه وحده من أصر على رفض الاتفاق النووي مع إيران، وأنه هو من أقنع «ترامب» بالانسحاب من هذا الاتفاق وفرض عقوبات مُشددة

عليها، ويرى بهذه العقوبات المُتصاعدة تدريجياً أنها ستؤدي إلى إضعاف إيران، والتسبب بأزمة اقتصادية خانقة لها، وهو ما من شأنه أن يُجفف مواردها المالية، مما سيعكس نفسه على قُدراتها وتأثيرها على المنطقة، مع الاستمرار في استنزافها في الحروب اليمنية والعراقية والسورية، ومُواصلة منعها من التغلغل في سوريا، مع بقاء ضمان سوريا ضعيفة ومُنهكة، وهو ما يُضعف في نهاية المطاف قوى المقاومة في المنطقة، وكل هذا لتوريط إيران في حرب إقليمية والضغط لتشكيل تحالف عسكري دولي بقيادة الولايات المتحدة لتدميرها كما جرى بالعراق، ونتنياهو مُصمم وعازم على تنفيذ هذه الاستراتيجية مهما كلف الثمن.

رابعاً/ أما على الصعيد الدولي، فإن نتنياهو يطمح في تحويل إسرائيل إلى قوة عالمية ووضعها في مصافي القوى العُظمى كروسيا والصين والهند والاتحاد الأوروبي إلى جانب الولايات المُتحدة وتطوير علاقاتها مع مُختلف الدول الفاعلة في العالم، واستمرار التغلغل في آسيا وإفريقيا، ومواصلة اختراق العالم العربي والإسلامي، واستكمال اندماج إسرائيل في الاقتصاد العالمي وتحويل إسرائيل إلى قوة اقتصادية عالمية من خلال التخصص بالصناعات التكنولوجية والعسكرية المُتطورة.

هذه هي رؤية نتنياهو الاستراتيجية للسنوات القادمة، وستتركز مهام حكومته الجديدة على مسألتين هامتين، الأولى تصفية القضية الفلسطينية، والثانية تدمير إيران، ومن غير المُستبعد أن تُقدم إسرائيل على شن حرب على غزة أو لبنان إذا استدعت الضرورة لذلك.

أما معيار النجاح والفشل لهذه الرؤية فهي منوطة بالتطورات، والسؤال المطروح: كيف سنواجه نحن الفلسطينيون والعرب هذه التحديات الكارثية؟ هل نحن مُهيؤون فعلاً لحمل مهامنا والتصدي لهذه المخاطر الوُجودية؟ من الواضح أننا غير مُهيؤون، فلننتظر ما ستُسفر عنه التطورات المُتسارعة من حولنا.

# أي عمليّة عسكريّة تتحوّل في نهاية الأمر لقضيّة اقتصاديّة

**بوابة الهدف**

اعتبرت صحيفة «ذا ماركر» الاقتصاديّة «الإسرائيليّة»، أنه على الرغم من أنّ الموقف الرسمي لحكومة الاحتلال، يقضي بأنه «عندما تُطلق المدافع النار، لا نكترث بالمال»، إلّا أنّ المسؤولين في وزارة المالية، وزارة الأمن ودائرة المستشار المالي لرئيس أركان الجيش، يعرفون جيداً أنّ» أي جولة أمنيّة تتحوّل في نهاية الأمر إلى قضيّة اقتصاديّة.»

وذكرت الصحيفة في عددها ليوم الاثنين 6 أيّار/مايو، أنّه بعد وقف العدوان على غزة عام 2014، عُقدت مداولات في هيئة سياسيّة أمنيّة «إسرائيلية» لمناقشة تبعات العدوان، وقال خلالها مسؤول كبير في جهاز الأمن، إنّ وقف العدوان بعد (50) يوماً جاء في التوقيت الذي «أزلت فيه الميزانيّة.»

ولفتت الصحيفة هنا إلى أنه ربما يكون هذا كلام غير دقيق، لكنه يعكس حقيقة أساسية، وهي أنّ الحروب تُكلّف مالاً، وحين يتعلّق ذلك بتشويش الحياة في الجبهة الداخليّة طوال أسابيع، فإنّ الأمر يُصبح أخطر.

وقالت الصحيفة إنّ الحروب العدوانية التي شنّتها «إسرائيل» على قطاع غزة في السنوات الماضية، كلّفت كل واحدة الخزينة «الإسرائيلية» مليارات الشواقل.

وفيما يتعلّق بالعدوان، الذي أعلن عن وقفه فجر اليوم، فإنه كان من شأن استمراره أن يُلحق ضرراً كبيراً بالسياحة لدولة الاحتلال وصورتها في العالم في حال إلغاء مهرجان اليوروفيجن.

وأضافت أنّ قرار وزير الطاقة في حكومة الاحتلال، يوفال شطاينيتس، بوقف ضخ الغاز الطبيعي من حقل «تمار» في أعقاب نشوب العدوان والانتقال إلى استخدام مصادر طاقة أخرى، مقرون هو أيضاً بتكاليف مالية أخرى تنفقها خزينة الدولة وشركة الكهرباء. يُضاف إلى ذلك أنّ توقيت العدوان، فيما يجري تشكيل الحكومة الجديدة من شأنه التأثير على قضيّة الموازنة. وفيما يتوقع إجراء تقليصات في ميزانيات الوزارات، فإنّ الجيش طالب بزيادة ميزانية الأمن بعشرة مليارات شيكل.

وأضافت الصحيفة أنّ أي حرب تخوضها «إسرائيل» تكون التكلفة الاقتصادية من ثلاثة أنواع: مس مباشر بالاقتصاد جراء فقدان نشاط اقتصادي وأيام عمل، إلحاق أضرار بأملاك وإنفاق عسكري يشمل ذخيرة ومخزون أسلحة وتعطيل قوات الاحتياط عن العمل.

ووفقاً لتقديرات أجراها المُحاضر في جامعة «تل أبيب»، البروفيسور عيران ياشيف، ونشرها «معهد أبحاث الأمن القومي» في الجامعة، فإنّ تكلفة اليوم الواحد خلال العدوان على غزة عام 2014، تراوح ما بين (420-840) مليون شيكل، وذلك بسبب توقف الإنتاج والتغيّب عن العمل في بعض المرافق، تراجع السياحة والإقبال على المطاعم وأماكن الترفيه، المس بالنشاط الاقتصادي اليومي بسبب توقف العمل لدى انطلاق صافرات الإنذار وتشويش عمل مزودي البضائع والخدمات...إلخ، كذلك أوقف مطار اللد الدولي عمله ليومين.

وقال الجيش إنّ تكلفة اليوم الواحد خلال عدوان 2014 قُسمت إلى قسمين: (100) مليون شيكل قبل الاجتياح البري و(200) مليون شيكل بعد الاجتياح البري. وبعد انتهاء العدوان طالب الجيش بإضافة (9) مليارات شيكل إلى ميزانيته، ويضاف إلى ذلك تكاليف التعويض على الأضرار التي لحقت بالأملاك، وبينها البيوت والمباني العامة والمناطق الزراعية والمصانع، ووصلت هذه التكلفة إلى مليار شيكل.

# دعت لإعادة الاعتبار لمنظمة التحرير
# عمَّان: الأحزاب القومية واليسارية تدعو لإنهاء الانقسام الفلسطيني لمواجهة «صفقة القرن»

اعتبر ائتلاف الأحزاب القومية واليسارية في الأردن، اليوم الأحد، أن «التعديل الوزاري الذي جرى على حكومة عمر الرزاز مُخيبًا للآمال ولم يقدم شيئًا جديدًا بل جاء لتكريس النهج السياسي والاقتصادي الذي أوصل البلاد الى أزمة حقيقية، وتمسك الحكم بحالة الإنكار بوجود أزمة، وإدارة الظهر لكل المطالب الشعبية من القوى السياسية والنقابية والمؤسسات الوطنية بضرورة تغيير النهج القائم».

وأضاف الائتلاف في اجتماعه الدوري الذي عقد في مقر حزب الوحدة الشعبية، وتوقف فيه أمام المستجدات السياسية على الصعيد المحلي والفلسطيني والعربي، أنه كان من الأولى «الشروع بعملية اصلاح حقيقي يقود للتغيير الوطني الديمقراطي من خلال اقرار قانون انتخابات ديمقراطي يشجع على عملية المشاركة الشعبية ويفتح الطريق أمام الأحزاب وقوى المجتمع لتغيير بنية البرلمان وتغيير آلية تشكيل الحكومات وصولاً للحكومات البرلمانية المنتخبة، واعتماد سياسة اقتصادية بالاستناد للمقدرات الوطنية، ووقف سياسة التبعية والارتهان لصندوق النقد الدولي والمؤسسات المالية الدولية، وفتح ملفات الفساد الكبرى ومحاسبة الفاسدين الذين نهبوا الأصول الوطنية من الشركات والأراضي والممتلكات الاستراتيجية على حساب الوطن والمواطن الذي يعاني من نتائج سياسة الإفقار والتجويع، واستسهال الحكومات الاستدانة، والتضييق على الحريات العامة، وتغييب مشروع الإصلاح الحقيقي».

وأوضح الائتلاف في بيانه الذي وصل «بوابة الهدف»، أن «التعديل الوزاري جاء في ظل الأوضاع الصعبة التي تمر بها البلاد، والتحديات التي نواجهها وكان مطلوبًا من الحكم الاستدارة للداخل لتعزيز الحالة الوطنية وتمتين الجبهة الداخلية لامتلاك القدرة والقوة على مواجهة هذه التحديات».

وأكّد الائتلاف أن «مواجهة صفقة القرن والضغوط التي تمارس على الأردن للقبول بإملاءات ترامب لا تتم من خلال استبدال الشخوص وتدوير المناصب بذات الآلية التي عمقت الأزمة بل لا بد من إحداث تغيير حقيقي وجوهري في النهج السياسي والاقتصادي وبما يساعد على خلق جبهة قوية لمواجهة الضغوط والمخاطر».

ورفض الائتلاف «ما أقدم عليه رئيس بلدية الكرك بممارسة التطبيع مع الصهاينة والذي يتنافى مع تاريخ الكرك وأهلها، والتي ما كانت يومًا إلا وطنية وعربية الانتماء والهوية»، مُتوجهًا «بالتحية للقوى والفعاليات الحزبية والنقابية والشعبية في مدينة الكرك على موقفها الرافض لهذا السلوك المشين الذي لا يمثل المدينة ولا أهلها».

ورأى أن «الاستجابة الرسمية للضغوط الأمريكية وبعض دول المنطقة المتحالفة معها بالمشاركة في حصار سورية الشقيقة اقتصاديًا وبهدف إطالة الأزمة وإعاقة سياسة الاعمار وعودة النازحين إلى ديارهم لا يخدم العلاقة بين الدولتين الشقيقتين الأردن وسورية، بل يضرب الأساس الناظم لهذه العلاقة وهو المصالح الوطنية العليا وعلاقة الأخوة والجوار والتاريخ المشترك بين الشعبين»، مُطالبًا «برفع كل القيود التي فرضت على مرور البضائع والسلع من سورية ووقف كل الاجراءات التي تحد من عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين الشقيقتين».

وفي الشأن الفلسطيني، توجّه الائتلاف «بالتحية للمقاومة الفلسطينية التي تصدت بكل شجاعة وبسالة للعدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة، والتي أكدت مرة جديدة أن اللغة الوحيدة التي يفهمها الكيان الصهيوني المجرم هي لغة الصمود والمقاومة لردعه ووقف حملاته الإجرامية بحق أبناء الشعب العربي الفلسطيني على امتداد الوطن المحتل».

كما اعتبر الائتلاف أن «وحدة الشعب والموقف الفلسطيني المستند على البرنامج السياسي الوطني المقاوم هو الحاسم في مواجهة صفقة القرن وتداعياتها على القضية الفلسطينية وهذا لا يتأتى إلا بإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية وإعادة الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها الوطني، وإنهاء مرحلة أوسلو وكل النتائج التي تمخضت عنها».

# الأزمة بين أمريكا وإيران.. إلى أين؟

يوسف مكي– كاتب عربي

**تصاعدت في الأيام الأخيرة، حدة الأزمة بين إدارة الرئيس الأمريكي ترامب، والحكومة الإيرانية، إثر انتهاء فترة التسهيلات الممنوحة لبعض الدول، لاستيراد النفط الإيراني. وبدأت نذر الحرب تلوح في منطقة الخليج العربي، من خلال التصريحات المتبادلة بين الفريقين المتصارعين. فقد لوحت طهران بإغلاق مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية، في حال حرمانها من تصدير النفط. وفي المقابل، أبحرت قطع بحرية أمريكية، إلى مياه الخليج العربي؛ لمنع إيران من اتخاذ أي خطوة من شأنها تهديد تدفق النفط عبر مياه الخليج العربي إلى الأسواق الدولية.**

وأيّاً تكن جدية التهديدات المتبادلة، من عدمها، بين الطرفين، فإن المؤكد أنها خلقت حالة من القلق في عموم المنطقة، أثرت سلباً بشكل مباشر، في الأسواق المالية الخليجية.

رغم الصخب والضجيج، والتهديدات المتبادلة، بحرب ضروس في المنطقة، نجادل في هذا الحديث، ضد احتمالات وقوع حرب رئيسية، تخوضها واشنطن ضد طهران؛ ليس لأن هذه الحرب، ستخاض في منطقة تعتبر الأهم من حيث اختزانها مصادرَ الطاقة فقط، ولكنْ لأن شن هذه الحرب، سيشكل خطراً على مصالح الولايات المتحدة ذاتها، وسيتسبب في اختلال التوازن الدولي، لصالح روسيا الاتحادية، غريمة أمريكا العسكرية. وسيهدد بشكل جدّي سلامة المنطقة العازلة بين الدب القطبي والمياه الدافئة بالخليج العربي.

لقد كانت إيران منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حجر رحى، في الاستراتيجية الأمريكية العسكرية، وشكلت مع باكستان و تركيا والعراق، منذ مطالع الخمسينات من القرن المنصرم، ومع بداية الحرب الباردة، هلالاً يطوق «إمبراطورية الشر السوفييتية»، حسب تعبير الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريجان.

وفي نهاية الخمسينات من القرن الماضي، تم تشكيل حلف عسكري، ضم هذه الدول برعاية بريطانيّة وأمريكيّة، عرف بحلف بغداد، من أجل تحقيق هدفين رئيسيين: الأول، هو مواجهة التوسع العسكري والعقائدي السوفييتي، والثاني، الوقوف في وجه تيار القومية العربية، الصاعد آنذاك. وحتى عندما أسقط النظام الملكي في العراق، وأعلنت الجمهورية، لم ينتهِ دور حلف بغداد رغم انهيار أحد أركانه، بل تحول إلى حلف المعاهدة المركزية «السنتو»، محتفظاً ببقية أعضائه، باستثناء العراق، الذي رفض نظامه الجمهوري الأحلاف العسكرية، وأنهى الوجود العسكري البريطاني في قاعدتي الشعيبة والحبانية. واقترب في صداقاته وسياساته الخارجية من الاتحاد السوفييتي.

إيران أيضاً هي نقطة الوصل في طريق الحرير، الذي يربط إفريقيا وغرب آسيا بالهند والصين، ودول النمور الآسيوية. وتشكل طرقها شرياناً مهمّاً للاقتصاد العالمي، من الصعوبة العبث به.

يضاف إلى ذلك كله، أن الأزمة الراهنة تأتي في ظل تغير واضح في المناخ، والتوازنات الدولية، في غير صالح الولايات المتحدة، يجسد ذلك الحضور القوي العسكري والسياسي، لإدارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والصعود الكاسح للاقتصاد الصيني.

لقد تدخل الروس، بقوة وفاعلية في الأزمة السورية، وكسروا معظم الخطوط الحمر، التي وضعتها إدارة الرئيس ترامب. بل إنهم تدخلوا في الأيام الأخيرة، وبقوة أيضاً في الأزمة الفنزويلية، حيث الحدائق الخلفية للولايات المتحدة، وحالوا دون سقوط الرئيس مادورو. وبإمكان المرء بسهولة، أن يتصور، ما سوف يكون عليه الحال، لو كان التهديد الأمريكي حقيقياً لطهران.

فبوتين، الذي ضم بقوة أرض القرم لبلاده، والذي جاء بجيوشه إلى سوريا، ولم يتردد في إرسال قوة روسية عبر المحيط، لينقذ الزعيم الفنزويلي، لن يتردد لحظة في تقديم مختلف أشكال الدعم العسكري، لحلفائه في طهران. ولن يكون مستبعداً أن يرسل بعضاً من قواته للدفاع عن النظام الإيراني.

علاوة على ذلك، فإن تجارب السنوات الثلاث المنصرمة من إدارة الرئيس ترامب، أكدت للقاصي والداني، أنه

لا يمكن أخذ تهديداته العسكرية، على محمل الجد؛ فقد تهدد وتوعد في سوريا، وفي أفغانستان، وكوريا الشمالية، وتبخرت تهديداته. وانتقل في لحظة من حال العداء والصراع مع الزعيم الكوري الشمالي، إلى حال الصداقة، من غير مقابل. وما زالت أزمة الأسلحة النووية الكورية الشمالية تراوح مكانها.

يدرك حكام طهران هذه الحقائق، ويتعاملون وفقها، ولا يأخذون تهديدات الرئيس ترامب مأخذ الجدية. وإذا ما تغير واقع الحال، وباتت التهديدات الأمريكية حقيقية وماثلة للعيان، فإن حكام طهران عرفوا تاريخياً بتبني سياسات براجماتية، تتصف بالمناورة والمراوغة. يجسد ذلك أن حديثهم المستمر، عن الشيطان الأكبر، لم يحُلْ دون التنسيق الكامل مع الولايات المتحدة، في حربها ضد أفغانستان. وقد تكرر ذلك مرة أخرى، أثناء الاحتلال الأمريكي في العراق، حيث ساندت طهران عملياً هذا الاحتلال، رغم إدانتها اللفظية له. ولم يكن للاحتلال أن ينجح بسهولة، في ملء الفراغ السياسي، الذي نشأ إثر تدمير الدولة العراقية، لولا تعاون عملاء إيران داخل العراق، مع إدارة الاحتلال الأمريكي. وكانوا عماد التشكيل السياسي للدولة العراقية، فيما بعد الاحتلال .

بل إن فضيحة «إيران جيت» قد كشفت بجلاء عن استيراد إيران للسلاح من «إسرائيل»، وقد حدث ذلك في العهد الثوري الذي قاده الإمام الخميني. فكيف ستجري الأمور الآن بعد أربعة عقود على الثورة الإسلامية، بعد أن ترصنت وترسخت علاقات إيران الدولية. الأمر البديهي، أن إيران باتت أكثر براجماتية، وقدرة على التعامل مع الأزمات الدولية.

لن يكون مستبعداً، أن تحدث مناوشات عسكرية محدودة بين القوى البحرية المتواجدة في مياه الخليج، وربما يشن السلاح الجوي الأمريكي ضربات لمواقع إيرانية محدودة، لكن ذلك لن يصل في كل الأحوال، لمستوى الحرب الباردة، وليس علينا سوى الانتظار.

# السودان: اختطاف ثورة!

**هاني حبيب**

هاجمت عدة قوى سودانية مؤخرًا، المجلس العسكري الانتقالي مهددة بالعصيان المدني وذلك بعد رده على «الوثيقة الدستورية» التي اقترحها إعلان الحرية والتغيير الذي يقود الاعتصام الشعبي أمام مقر المجلس العسكري، جاء الرد من خلال مؤتمر صحفي للناطق باسم المجلس العسكري ولم يكن من خلال اجتماع مشترك بينه وبين إعلان الحرية والتغيير، الأمر الذي اعتبر تجاوزًا للتفاهمات السابقة، والأمر هنا لا يتعلق بالشكل والتفاصيل بل بخطيئة الثورة الأولى.

في تقديري أن مجمل النقاش والحوار بين إعلان الحرية والتغيير وما يُسمى بالمجلس العسكري الانتقالي، كان نتيجة خطأ فادح تم ارتكابه من قبل المنتشين بالنصر الذي تم اثر «انقلاب» العسكر على البشير، فبعد أن قام بعض الجنود وصغار الضباط من الجيش السوداني بحماية المتظاهرين، تم استثمار ذلك من قبل كيان رجالات الجيش بعد سقوط البشير وكأنما هم الذين حموا المتظاهرين، في حين أنهم ومن خلال وجودهم على رأس عملهم كأداة من أدوات نظام البشير حتى سقوطه، إنما يشكلون الدولة العسكرية العميقة التي أسسها البشير، وخروجهم على رئيسهم، كان بمثابة انقلاب داخلي أكثر منه دعمًا لثورة الشعب السوداني. كان من المفترض اثر سقوط البشير عدم التعامل مع المجلس العسكري إلا باعتباره استمرارًا لنظام البشير عبر انقلاب عسكري استثمر الثورة لصالح التغطية على نواياه في تجديد النظام من خلال تغيير أشكال الأدوات عبر الأفراد والشخصيات من دون إحداث ثورة حقيقية تطيح بالنظام وأدواته العميقة المتجذرة طوال عقود ثلاثة.

خارج النص

لذلك فإن البحث في «التفاصيل» بين المجلس وإعلان الحرية والتغيير لن يكون مجديًا وتمنح المجلس قوة ما كان لها أن تستمر لو تم تشخيص الأمر على أن دوره مجرد عملية انقلابية في داخل النظام وليس على النظام، وأن الحل يكمن في تسليم المجلس كل الصلاحيات بشكل كامل لمجلس سيادي مدني بالكامل، وأن دور المجلس كما هو الأمر في كل النظم الديمقراطية، كجزء من الحكومة المدنية والجيش في هذه الحالة يخضع لهذه الحكومة ومهامه ترسمها المصلحة الوطنية كما تراها هذه الحكومة.

ان تجاهل هذه الحقيقة، يستغله المجلس العسكري في التعاطي بلا جدية مع الثوار من جهة، وتمنحه دورًا يتنافى مع أهداف الثورة السودانية، ومع أن «تجمع المهنيين» قد أدرك هذه الحقيقة من البداية إلا أنه ما زال عاجزًا عن اقناع الأحزاب والقوى المشاركة في بيان الحرية والتغيير بها، وهنا تكمن المشكلة التي نعتقد أنها ستعود إلى سيناريوهات ستنعكس سلبًا على مستقبل الثورة السودانية.

# «على نفسها جنت براقش»

علي جردات– كاتب فلسطيني

بداية، تجدر الإشارة إلى أن «حزب العدالة والتنمية» الحاكم في تركيا، بقيادة أردوغان، قد قفز، في عام 2002، إلى السلطة، واستمر فيها عبر صندوق الاقتراع، أي أن شرعية حكمه هي شرعية انتخابية دستورية، وبالتالي، فإن تلاعب هذا الحزب بنتائج الانتخابات المحلية الأخيرة، وفي نتائج انتخابات بلدية إسطنبول، تحديداً، سوف يكون له، في المدى البعيد، وربما المتوسط، انعكاساته السلبية التي من شأنها أن تضرب، أول ما تضرب، شرعية الحكم التي يستند إليها هذا الحزب، مصداقاً لمأثور القول: «على نفسها جنت براقش». ودع عنك ما سيقود إليه هذا التلاعب من فضْح لزعيم هذا الحزب، الذي تقمص دوْر حامي حمى الديموقراطية في المنطقة، والمدافع عن حقوق الشعوب العربية في الديمقرطية والحريات؛ لتبرير مطامعه وتدخلاته متعددة الأشكال في شؤونها، بدءاً من العراق وسوريا، وصولاً إلى مصر وليبيا والسودان، متناسياً حقيقة «أن مَن يملك بيتاً من زجاج لا يستطيع أن يرجم بيوت الآخرين بالحجارة»؛ بل ومتناسياً، أيضاً، حقيقة أن ما دفع أحزاب المعارضة التركية إلى الاصطفاف إلى جانبه؛ لإفشال محاولة الانقلاب العسكري التي وقعت ضده في عام 2016، إنما هو الدفاع عن مبدأ التداول السلمي للسلطة، والحيلولة دون عودة تركيا إلى عهد الاستيلاء على السلطة؛ عبر الانقلابات العسكرية، أو عبر تزوير نتائج الانتخابات والتلاعب فيها.

وهنا، يجدر التذكير بالقول الصائب: «كل نظام يعيش مأزقه حتى ينتج حفار قبره». وأظنّ أن هذا هو بالضبط ما يفعله رأس النظام الحاكم في تركيا، الرئيس أردوغان الذي عوضاً من أن يبحث في الأسباب الفعلية التي قادت إلى تراجع شعبية حزبه، وخسارته المدوية في مدينة إسطنبول، تحديداً، اختار اللجوء إلى التشكيك والطعن في النتائج. وحتى حين استجابت لجنة الانتخابات العامة لمطلبه؛ بإعادة الفرز، لم يحترم إعلان الأخيرة، مرة أخرى، عن فوز مرشح المعارضة؛ بل ضغط عليها، مستغلاً تحكمه بمفاصل السلطة، حتى أصدرت قرارها الغريب والمفاجئ بإعادة إجراء الانتخابات لبلدية هذه المدينة. وهو القرار الذي أثار موجة انتقادات واسعة شملت قيادات سابقة في «حزب العدالة والتنمية» نفسه.

أما أحزاب المعارضة فلم تكتفِ بانتقاد هذا القرار، والتنديد به وإدانته، وبقبول التحدي وإعلان أنها ستخوض الانتخابات، الأمر الذي لم يتوقعه، ربما، أردوغان وأركان حزبه؛ بل ذهبت، وهنا الأهم، إلى التشكيك بنتائج الانتخابات البرلمانية والرئاسية التي حصلت في العام الماضي، حين طالبت لجنة الانتخابات العامة بإعادة إجراء هذه الانتخابات التي فاز فيها «حزب العدالة والتنمية»؛ وذلك من على قاعدة، فحواها: أن «العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم»، وأن «من ساوى نفسه بالآخرين ما ظَلَم». إن هذا المطلب الذي قدمه حزب الشعب الجمهوري، ودعمته بقية أحزاب المعارضة، على ما بينها من خلافات واختلافات نوعية، هو مطلب عادل ومحق. كيف لا؟ طالما أن رأس النظام هو مَن فتح باب التشكيك والطعن في نزاهة لجنة الانتخابات العامة في البلاد، بكل ما ينطوي عليه التشكيك والطعن، هنا، من ضرْب لمبادئ اللعبة الديمقراطية السياسيةً الليبرالية، وأولها، وحجر الزاوية فيها، مبدأ التداول السلمي للسلطة، واحترام جميع الأحزاب المتنافسة للإرادة الشعبية.

وأكثر، إن تلاعب الرئيس التركي بنتائج انتخابات بلدية إسطنبول سيقود، تقدم الأمر أو تأخر، إلى أن تستقطب المطالب العادلة للمعارضة مزيداً من التعاطف الشعبي الداخلي، ومن الدعم الخارجي متعدد الجنسيات، وبالمعنيَيْن السياسي والشعبي. أما أن يتهم أردوغان، كرئيس لتركيا ولحزبها الحاكم، أحزاب المعارضة بالاستقواء بالتدخلات الخارجية، فبات سلاحاً مثلوماً، اتصالاً بأنه هو، أي الرئيس أردوغان، من نقل نظام الحكم في تركيا من نظام برلماني ديمقراطي ليبرالي إلى نظام رئاسي ديكتاتوري مكتمل الأركان، لا يسمح بإقصاء أحزاب المعارضة، وقمع الأقليات، والتدخل في شؤون شعوب المنطقة، فحسب؛ بل، ويتيح إقصاء المعارضين لنهجه داخل حزبه، أيضاً، الأمر الذي أسس لنشوء نظام الفرد الحاكم بأمره، أو نظام السلطان الذي يحكم رعية، ولا يقيم وزناً لمبادئ الحكم السياسي الديمقراطي الليبرالي القائم على الفصل بين السلطات، وسيادة القانون، واستقلالية القضاء، والتداول السلمي للسلطة.

# النموذج والقدوة

لا نجازف لو ذهبنا في القول بأن حالة الالتباس طالت كل شيء تقريبًا؛ الكلمات والمعاني، الشكل والجوهر، الأشخاص والأدوار، الأدوات والوظيفة.. للدرجة التي بات معها وصف النموذج أو القدوة يختلط مع نقيضه، بحيث لم تعد تلك الصفة تطلق على من تنطبق عليه حقًا، أو يستحق جدارة تلك الصفة فعلًا.

طبعًا ما سبق لا يعني عدم وجود نموذج القدوة أو القدوة النموذج، لكن هناك حقًا من تعطيهم تجربتهم في الحياة، الفكرية والعلمية والنضالية والثقافية والقيادية والقيمية..الخ، جدارة استحقاق أن يطلق هذا الوصف عليه طالما أبدع في مجال أو أكثر مما سبق ذكرهم، وصولًا لأن يصبغ بها، أما أن يقدم شخص نفسه من موقع سلطته على أنه نموذج وقدوة تحتذى، ويطلب أن يعمم «نموذجه»، فهذا ليس مجرد استهانة واستخفاف بالعقول فقط، بل هي محاولة يراد من خلالها «تنميط» الشعب وفقًا لنموذجه، بحيث يضرب حتى التصور للنموذج والقدوة التي تستحق جدارة الوصف في البنية الذهنية الجماعية، فتصبح والحال هذا مرادف للفهلوة والشطارة والترف والنزق واللامسؤولية الوطنية والانحدار القيمي.

فلسطينيًا، ربطًا بخصوصية الحالة والواقع، كيف يمكن للنموذج أو القدوة أن يكون حاضرًا وفاعلًا ومؤثرًا ومحتذا به إن لم يكن يتمتع بالنزاهة الفكرية والأخلاقية، ويمثل دليلًا وبوصلة في الاستقامة الوطنية، ومتجذرًا في مواجهة عدوه، وممثلًا لحقوق وأهداف وطموحات شعبه، ومتواصلًا مع همومه، وممسكًا براية وحدته وترابطه، ومعززًا لصموده، ومحاميًا له، ومحافظًا على مؤسساته الوطنية، ومتحصنًا بروايته التاريخية، ومعنيًا بحاضره، كما سعيه الدائم لتعبيد طريق مستقبله.

أخيرًا، لا يجب أن تتوه منا حقيقة الكلمات وصحة محتواها، كي لا تطلق الأوصاف جزافًا على من لا يستحقها، كون المسؤولية هنا تتعدى المسؤولية الفردية إلى المسؤولية الجماعية، كون إطلاق صفة النموذج أو القدوة، ترقى إلى مهمة حفظ الذاكرة الجمعية من الابتذال باسم الموقع الرسمي الوهمي.

# النكبة
# بين سطوة الرمز وسلطة البروباغاندا

مروان عبد العال– روائي– عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

**تظل النكبة كحدث تاريخي تحتمل أكثر من قراءة ومن زوايا متعدّدة، كونها حدث مستمر من ناحية، ومن ناحية أخرى يمتلك مخيالا سياسيا مستمداً من قوة الرمز، فهي تنعكس في آلية التخيّل التي تؤثر في تشكيل الخيال الفردي والجمعي، في حرب المخيال الذي حقق اختراقاً نسبياً، ما زالت فصوله تتداعى بأن تفصل وتقارب بين ضحية النكبة وفاعلها! عن ضحية المحرقة ومرتكبها! وإنشاء علاقة استغلال بين الهولوكوست والنكبة، أو ممارسة النقد لما سمي «بالبوطلة النقدية»، أي تحويل هذا النقد إلى فعل بطولي إمّا ليتحرروا من عقدة الاضطهاد، أو ليقدموا عذراً لما لحق بالفلسطينيين، والذي بيّنه فيما بعد «إدورد سعيد .»لكن هذا يدفعنا إلى توضيح ثنائية النكبة كمعنى الإنكسار الوطني ومقاومة كإنبعاث وطني وتحدي قومي قبل وبعد، لقد استخدم العدو موازين القوة الصلبة وقوته الناعمة لإحداث مقارنة ظالمة واستعان بالأساطير القديمة لإثبات شرعية تاريخية، وبهدف خلق ثقافة عامة تسعى إلى تجريد النكبة من سطوة الرمز، بمثابة إنكار صريح للحق التاريخي للفلسطينيين بأرضهم التاريخية، بل للطعن بشرعية حقهم بالمقاومة لاستردادها والعودة إليها**

### . كيف نحيي ذكرى النكبة؟

ظلّت صورة النكبة في الذاكرة الوطنية، يُرمز لها بقوافل النزوح والنساء التي تحمل الأمتعة، وتجر خلفها أطفال ورجل محني الظهر يعتمر الكوفية ويتكئ على عصا، ومواويل فلكلورية ونواح ومناجاة حزينة مشبعة بالحنين إلى ماضي البلاد وجمال ربوعها وطبيعتها وناسها، تستغرق صورة اللاجئ السلبي التائه في «دياسبورا» الضحايا، الممهورة بحكاية العودة والوطن والمخيم، وتتحول إلى قصائد وحكايا وسرد أدبي وسير ذاتية وتغريبة فلسطينية. بقيت

ذاكرة البقاء والصمود ملتبسة وضبابية وغابت ذاكرة البطولة التي جسّدها فعل المقاومة في الدفاع عن الأرض، ولم نرَ الرجال والبنادق كونهم الوجه الآخر المغيّب للنكبة. ما يميز ذهنية الاقتلاع والتشرّد واللجوء والهروب، عندما نستعيد ذكرى النكبة كأنها استعادة للوجع والبكائيات في المخيّلة الشعبية دون الطرف الثاني من المعادلة، للذين تشبثوا بالأرض وطردوا عنوة ودمرت بيوتهم، هناك 532 قرية فلسطينية تمّ تدميرها وتشريد وتهجير أهلها، تدمير 11 مدينة وتشريد سكانها، فهذه المدن هُدمت كلياً، فيها من قاتل حتى النهاية وجسّد بطولة حقيقية، ظلّت الجزء المضيء من المشهد، فمسؤولية الذاكرة الوطنية حفظ دروس الحدث التاريخي بوجهيه النكبة والمقاومة، المستمرة في الحياة الفلسطينية روحياً ومادياً، في السياسة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والقانون.

## البروباغاندا وصناعة المخيال

قبل حدوث النكبة عام 1948، والرواية الصهيونية تعمل على تأكيد أن قيام الكيان هو تتويج لحركة انبعاث قومي لشعب أقام دولته المستقلة على أرض يملك معها صلات تاريخية وثيقة ووطيدة. وهناك من صدقّ هذه الرواية، وثم تقزيم حجم وهول النكبة التي حلّت بالشعب الفلسطيني، وتصوير نتائج ما حل بهذا الشعب على أنها «نتائج مرافقة لسعي الشعب اليهودي للاستقلال وتجسيده لمبدأ السيادة القومية!» واستكملت حرب المخيال المظلم الدامي فصوله باعتبار أن الفلسطينيين باعوا أرضهم، وأن العرب هم من طلب منهم الخروج، وهناك من بقي يروّج لهذه المقولة كجزء من تبرئة الذات، هي محاولة لفرض أفكار وتشكيل هوية وتلفيق ذاكرة سطحيه عمياء مضلّله ومظلمه على الواقع، والاستناد إلى فكر رجعي إقصائي قائم على نفي الآخر. أسهمت سلطة البروباغاندا في صناعة المخيال الجمعي الذي وجد في الهولوكوست كذاكرة سوداء أساساً لتشكيل هوية، والعمل بسلوك الضحية المعتدى عليها ولها الحق بالدفاع عن نفسها، ليبرر حدث النكبة كأنها التراجيديا المشتركة التي تلخص ثنائية إقصائية يسعى المجرم إلى ابتداعها لفك العلاقة المنطقية بين الجريمة والعقاب، ويقودهم الخيال الزائف لإحداث واقع غير صحيح ومزيف.

## لن تسقط الماسادا ثانية

لقد اكتسبت الأساطير شموليتها من هيمنة سياسية ثقافية والتي استوحيت منها الحكايات، أو طوعت الأحداث التاريخية لخدمتها، تبرز أسطورة «قلعة مسادا»، كرمز لبطولة المحارب اليهودي، وتخترع بطولة لمتمردين أمام الغزو الروماني في العام 73 من القرن الأول الميلادي، ويقف اليوم علماء آثار يهود يكشفون أن قصة مسادا البطولية لم تحدث أبداً وأنها مجرد «اختراع من محارب لم يحارب»، لكنها حكاية تمّ تلفيقها في كنف الفكر الصهيوني واستخدامها كقصة الحاجة إلى شرعية دينية توحيدية تربط اليهود بالمكان وتشبثهم به. في المقابل، هناك حياة، واستمرار وبعث للأساطير القديمة، كما تظهر أساطير جديدة، ويتم تحويل قصص قديمة إلى نصوص حديثة، وقد تنمو بعض العناصر أو الرموز الأسطورية في بعض القصص النموذجية عن طريق الأدب والخيال المفتعل والذي خلق نوع من أدلجة التاريخ. إنها أسطورة «سلبية» فيما ترويه من أكذوبة الانتحار والموت الطوعي بشجاعة وشهامة، ولأنها مدعاة للفخر، فهي «إيجابية» فيما يخص الوظيفة التي شغلتها في المخيال الذي يمثل فكرة الشجاعة وقيم البطولة التي ترمز إلى تفضيل الموت على حياة العبودية. استخدام التهويل والتعظيم وتقديم البطل كأسطورة لا يمكن مقارنتها بمن كان عنصراً مهما في ماسادا الأسطورية، والمستحضرة من أدراج التاريخ ثم يجري التعبئة على أساسها بمقولة «لن تسقط الماسادا ثانية» رغم تدمير هذه الأسطورة، لكن تتسم بقدرتها على أن تكون سلبية أو إيجابية كان لها، مع مراعاة الفوارق النسبية، دوراً ووظيفة، عند الأجيال.

## في دير ياسين قاتل أهلها كالأسود

سقطت دير ياسين لكنها قاتلت ببطولة حتى نفذت الذخائر والبنادق، كانت قليلة وقديمة وصدئة، لم تستقبل الغزاة بالتهليل والترحيب أو رفع الرايات البيضاء، سقطت ولكن علينا أن لا ننسى أنها قاتلت، بإعترافات في شهادة" رؤوفين غرينبرغ» من عصابة شتيرين الصهيونية ومن مهاجمي دير ياسين واصفاً ما رأى قائلاً: «قاتل العرب كالأسود وتميزوا بقنص محكم، وخرجت النساء من بيوتهن تحت النيران وجمعن الأسلحة التي سقطت من أيدي المقاتلين العرب الجرحى ونقلتها إلى المواقع الداخلية" ."دير ياسين» و «ماسادا» بين بطولة حقيقية، ظلمت بإجتزاء الصورة كالضحية السلبية، أي الضعيفة التي لا تقوى على المقاومة، وبطولة مزيفة عن انتحار ذاتي لم يحدث، فكانت صورة المجزرة في الأسطورة صورة الضحية الإيجابية. لقد اسهمنا نحن في إنتاجها وترويجها ليتضح سلاح المجزرة ذو حدين حين تتحوّل الضحية الفلسطينية إلى كائن سلبي بصورة الإنسان المسالم المعتدى عليه، لتتكرر الصورة بتحميل الضحية مسؤولية موتها ويتكرر القاتل بصورة البطل المنقذ ليحل إشكالاته الوجودية المعلقة والمأزومة أصلاً بسلبيتها المستدامة. طغت ذاكرة الموت على كامل المخيّلة، نريد أن نقول قتلوا وهم نيام ولا نقول قاتلوا كي، ربما بحسن نية حتى لا نمنح القاتل عذراً للقتل، وبعدها صار للنكبة في الحياة العربية «سطوة الرمز» في نموذجين متعارضين ومختلفين زمانياً: الأولى تسلّحنا برمزية مذبحة دير ياسين وفظائعها، والتي ترسم صورة الضحية العاجزة، وتسلّح العدو الصهيوني بالمقولة الثانية زرعها في المخيال الجماعي، في تمجيد مجزرة الـ «ماسادا» كرمز لقوة المحارب العبري! يشكل لاحقاً منظومة من البداهات والمعايير والقيم والرموز، فهو ميداناً لخرافات وأساطير وتهويمات وخيالات أنتجها كلها هذا المخيال العنصري. في دير ياسين 120 شخص ذبحوا عند

الساعة 4 فجراً، دفعنا ثمنها دماً ولكنه كان مضاعفاً ونحن ننشغل في تعداد الشهداء والمبالغة بالأرقام وبطريقة القتل وأسلحة الجريمة وتحوّلنا كآلية استخدام التهييج وإنتاج الخوف، ممّا أثر سلباً في إحداث صدمة، وساهمت بالحرب النفسية للتهجير. كانت الأخبار تنتشر كالنار في الهشيم فيما حدث عن اغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل ورمي الجثث بالبئر وإحراق البيوت.... والخ. والسبب في وعي المجتمع الذي ينتقي دائماً ما يتناسب مع مخيالة العام البسيط والساذج، الترابط بين الوهم والخيال، خلق التضامن لا يعني المبالغة في توصيف الكارثة، كمن يعرض رجله المتقيحة للمارة كي يستدر العطف فتكون الشفقة أو القرف، علماً أن هناك فارق كبير في أن يشفق العالم على الضعفاء ويحترم الأقوياء.

## هناك أبطال أيضاً حتى لو هزمنا

يقال لا قيمة للأمم بدون أبطال، ولا كرامة لها دون رموزها الوطنية وحصول فجيعة النكبة لا يشكل نفياً للبطولة بأي ثمن ولا انتفاء للذاكرة الوطنية، بل علينا استحضارها وعدم إغفالها أو اختراعها؛ فالواقع يقول ان النكبة رمزاً للذاكرة السوداء، بل لذاكرة ناصعة تجسدت بالمقاومة وبالبطولة أيضاً، هناك أبطال حتى لو هزمنا.. علينا أن نرى الصورة الواقعية من مختلف زوايا المشهد حتى تأتي النتيجة على غير ما نصبو إليه، وتكون ذات علاقة عكسية دوماً، لو لم يكن هناك صمود وقتال لما بقي عرب ومناطق عربية في القدس وغيرها، ونموذج ما سمي يومها «مثلث الرعب» عن قرى «عين غزال - جبع - اجزم .."كشف الأرشيف عن بطولة حقيقية في هذه القرى التي شلّت العصابات اليهودية في منطقة الكرمل – يافا، ومن ثمّ قطع المرور نهائياً. في أيار 1948 حاولت القوات الصهيونية فتح الشارع أكثر من مرة، بل أنها حاولت كسر الروح المعنوية لمقاتلي القرى من خلال محاصرتها وقصفها بشكل متقطع، ثم تطورت هذه الهجومات بعد سقوط قرية طيرة الكرمل المجاورة في السادس عشر من تموز 1948 وتضييق الخناق على تلك القرى.

## تطويع المخيَّلة الجمعية مجددا

طويع المخيّلة الجمعية مجدداً دأبت مراكز البحث والتخطيط في الدوائر الصهيونية في خوض حرب المخيال وليس الواقع فحسب وانما في القدرة على اختراع أسطورة، وتزوير الحقيقة، وطمس التاريخ وتحويل الصورة المزيفة إلى واقع جديد، تحميه بالنص الموثق والقانوني والمنطقي في أن ينتشر ويمارس كحقيقة قانونية، خلق صورة يتم فيها تصوير تهجير الفلسطينيين من قراهم ومدنهم واقتلاعهم من أرضهم على أنه «هروب» أو «إخلاء اختياري» على أفضل الأحوال، أو أنهم باعوا أرضهم، واليوم تتواصل هذه الحرب في الزعم المتواصل أن عودتهم مستحيلة، فما من أحد يرغب بالعيش تحت سلطة دولة يعتبرها غاصبة، وأن شروط حياتهم أصبحت مرتبطة بمصالح في مكان إقامتهم التي طالت. الإنكار الممنهج لتشكيل الصورة الذي أريد له أن يقطع ذاكرة الجيل الجديد عن النكبة، يعيد إنتاجها في ضوء «قانون القومية»، كونه امتداداً طبيعياً للسياق التاريخي والفكري الاقصائي والمنافي للديمقراطية، والذي يرفع من منسوب الجرعة العنصرية إلى مستوى التشريع وبالتطهير العرقي إلى مستوى القوننة. إعادة إنتاج ذاكرة النكبة بإحياء ذكراها وبوجهيها المأساة والبطولة، ولن تتوقف بمجرد إصدار قانون النكبة الذي أقر بالكنيست عام 2011، باعتبار أن إحياء النكبة نشاط معادي لمبادئ الدولة، لذلك نفسر الخط الاستراتيجي الناظم للسياسة الصهيونية في عملية التسوية؛ ويقوم على ثلاثية دولة «إسرائيل». شعب «إسرائيل». أرض «إسرائيل»، بوصفها تمثل الدائرة القومية للكيان، مقابل السعي لتفكيك فكرة فلسطين بين أقاليمها الثلاث الأرض والشعب والقضية. واليوم يبرز بشكل أوضح، في ظل «فرصة» القرن المتمثلة بالخطة الأمريكية «صفقة القرن» والرامية إلى هجوم أقصوي لتصفية القضية الفلسطينية، فيرافقها التطويع الممنهج للمخيّلة الجمعية مجدداً عبر التطبيع الذهني، وتوسيع دائرتها لقبول الهزيمة، مستفيداً من بيئة الانكسار العام ونقصان المناعة القومية عموماً، والوطنية خصوصاً لتدمير البطولة، وأبلسة المقاومة وتجريم حتى الأسرى والشهداء، في مسعى لاحتلال الذاكرة الوطنية.

ذاكرة المقاومة وذاكرة النكبة

فالنكبة تكون بخسارة الذاكرة الوطنية، الهزيمة الحقيقية تعني الاستسلام لآثار وتداعيات النكبة، وذاكرة النكبة تكون بوعي دروسها، والمسؤولية الحقيقية وراء استمرار مفاعيلها والمقدمات التي قادت إلى هذه النتائج، لأن الهزيمة لا تحصل من الحرب، بل تأتي قبلها! وكونها ذاكرة حيّة معاشة لم تمت وتمجد سطوة القوة في واقع قد حدث وليس في أسطورة لم تحدث، لمحارب قاتل فعلاً وحفظ الواجب وإن خسر الحرب، في حماية رمزية البطولة ذاكرة المقاومة التي كانت وستبقى مستمرة في الصورة الجميلة لتاريخ فلسطين، وإن تتجدّد في الحاضر فهي امتداد للماضي، لأنها القوة الروحية والمعنوية وفخر الأمة حتى نسترد فلسطين ونزيل آثار النكبة، ولكن قبل كل ذلك «لن تسقط ذاكرة المقاومة ثانية".

# عقد تدغدغه أشعة الشمس

انتصار الدنان–إعلامية وأستاذة الأدب العربي

كان الليل قد تعب من السّهر في تلك اللّيلة، وكان أصحاب الأرض قد تعبوا من الأحلام العقيمة، من الانتظار طويلًا حتى يطلع فجر نائم بين أنياب العدو المتربص بهم.

ذلك البستاني الذي حفر المعول في أيديه تراب أرضه، كان في بستانه، تغمره أشعة الشمس الدافئة، وتدغدغ خدوده ريح خفيفة باردة تمسح عن جبينه عرق العمل، حين هجموا على بلدته، وقتلوا من قتلوا فيها.

وصلت إلى مسامعه أخبار الهجوم الذي شنه العدو على بلدته، وصوت الدم الذي غطى جدران الحوائط، وعويل النساء، ودموع الأطفال، فنحوها راح راكضًا. كان صوت الرّصاص يصل أزيزه إلى مسامعه، فأدرك أن اشتباكات تدور بين رجال البلد والعدو. انتظر خارج البلدة حتى حل الليل علّ الاشتباكات تخفّ وطأتها، وتنام مجددًا. حلّ اللّيل، فتعبت البنادق من السهر، فنامت، فتسلل إلى بلدته خفية. دق باب بيته، ودخل، وانتظر مع عائلته حتى يطلع الصباح من جديد..

لم تغف عيناه اللتان ظلتا ترتجفان طيلة الوقت بانتظار طلوع الصباح، ليرى ما الذي سيحل به وعائلته.

بدأت أشعة الشمس الواهية تضرب نافذة البيت التي تطل على البحر - كان منظرها يبعث على الحياة، تلك شمس فلسطين التي لم ينسها أبو علي طيلة أيام عمره - لتسقط آخر نجمة كانت قد التمعت في السماء.

كان يحسّ وقع أقدام الصباح على أديم الأرض، وكان يصغي بانتباه لوقع طلوع الصباح، بعد أن انسحبت فلول الظلام، وتحير في الوسيلة الممكنة في الخروج من البيت، تاركًا خلفه كل ذكرى من وطن، لكن شيئًا ما حدث فجأة، فالعدو كان أسرع من الصباح. هجم على البلد وطوقها من كل مكان، وطلب من الأهالي الخروج من البلدة. إنها بلدة الشيخ.

وقف حائرًا ينظر حوله، وفوقه، وتحته، دارت به الدنيا، وتلعثمت الحركات البهلوانية التي كان يصدرها. لقد ربط الأرض بالسماء. أمسك وزوجته أولادهما، وخرجوا جميعًا فزعًا، لا يحملون غير الحزن في صدورهم.

باصات عديدة كانت تصطف على البيادر، كانت تنتظرهم لتقلهم إلى مكان ما يجهلونه، ربما إلى مكان أكثر أمنًا كما ظنوا. ركب الناس الباصات، وكانوا من بين ممن ركبوا، الخوف أعمى قلوبهم، ونسوا ابنهم الرضيع في سرير القش الذي كان ينعم فيه بنوم دافئ، ضربت الأم كفيها ببعضهما البعض، وصرخت «راح الولد».

لقد نسوه وسط ضجيج الخوف. نزلوا من الباص، واستظلوا شجرة زيتون حتى يأتيهم الفرج. عادت ابنتهم الكبرى إلى البلدة، لتبحث عن أخيها. وصلت فكانت زوجة خالها في منزلها الذي لم تتركه، طرقت بابها وطلبت منها الذهاب معها إلى البيت، لتبحث عن أخيها، هجمت على السرير، فوجدته فارغًا. كان قد ترك في سريره زجاجة الحليب التي كان ممسكًا بها يرضع فيها حب الوطن، ولعبته الصغيرة التي كانت تغني له عندما كان يضربها بيده الصغرى «موطني، موطني».

خرجت الأخت باكية، سمع العدو أصواتًا غريبة في البيت، هجموا على بيت زوجة الخال، وراحوا يبحثون عن مصدر الصوت في البيت، ولكنهم لم يجدوا أحدًا، فقد خبأت زوجة الخال الابنة في برميل الطحين، إلى أن ذهبوا، وخرجت البنت من البلدة منكسرة، بلا أخ، وبلا وطن، وبلا حب.

صار لاحقًا كيس الطحين المأوى، وزجاجة الحليب الحياة، والطفل نسي ربما أهله، وعاش حياة جديدة.

وحدها جميلة «الابنة» بعد واحد وسبعين سنة ظلت لاجئة، بعد أن مات والدها حسرة على الأرض، وماتت الأم غمًا على طفلها، وتفرق الأخوة في أصقاع الأرض.

وحدها تشبه وطنها، تسكن بيتًا صغيرًا قرب شلال، تتسمع إلى صوت الماء يتحرك ليل نهار وتتساءل «هل من أجنحة تحملني إلى وطني، لأموت هناك ؟»

# «في حضرة باب الجابية (طفل البسطة)» الفدائي والصراع العربي الصهيوني للروائي أيمن الحسن

بسام سفر – كاتب ومسرحي سوري

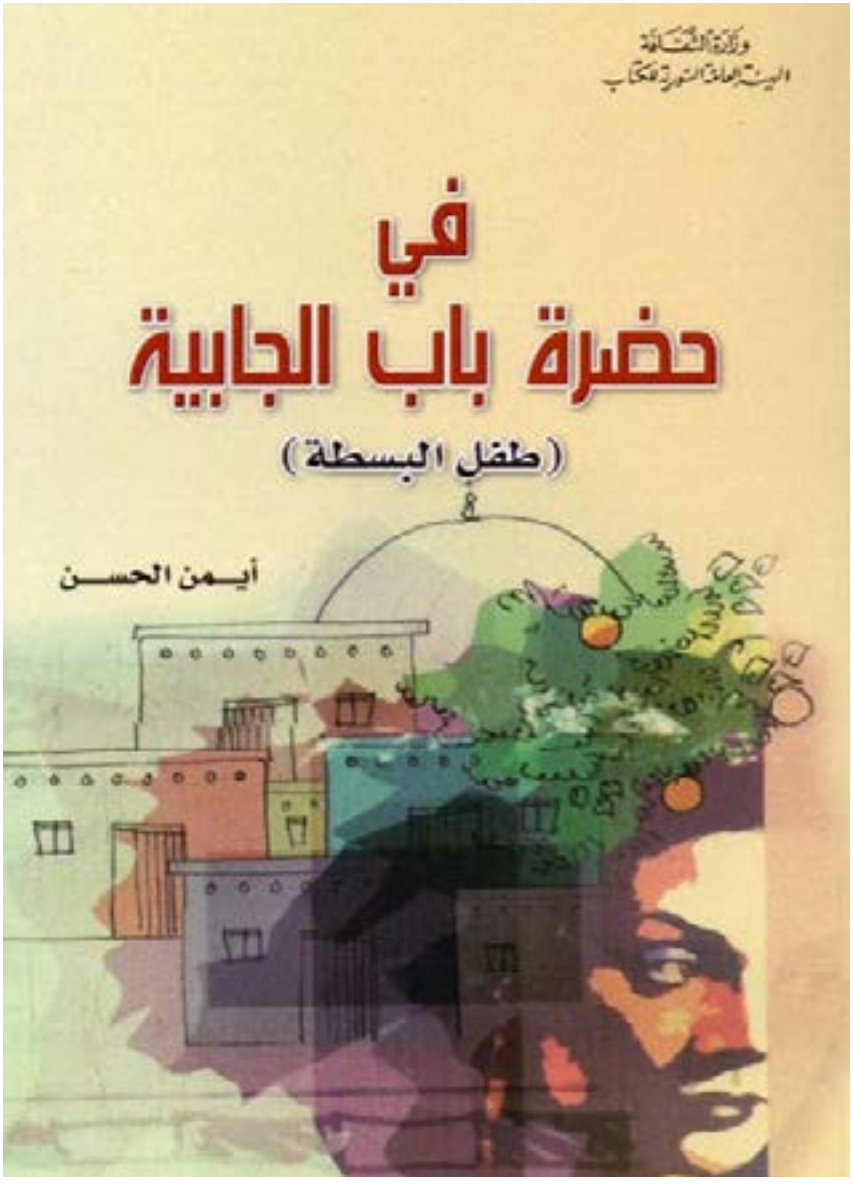


شكلت القضية الفلسطينية بكافة رموزها السياسية والفدائية والثقافية والاجتماعية الاقتصادية جزءاً أساسياً من المعمار الروائي العربي أو القصصي أو الشعري، خصيصاً إذ وجد أكثر من شخصية في العمل الروائي تحمل هذه القضية عبر خطوط الرواية.

وتأتي إضافة القضية الفلسطينية إلى العمل الإبداعي الأدبي فعلاً نوعياً قادراً على جذب قرّاء جدد إلى العمل الروائي، فالخط الروائي الوطني «في حضرة باب الجابية (طفل البسطة)» للروائي والقاص أيمن الحسن مدير دائرة التأليف في الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة السورية، يتجلى حضوره في خطين أساسين في العمل الروائي، الأول من خلال الفدائيين وحضور فلسطين، والثاني عبر خط حضور الجيوش العربية، والجيش الصهيوني في أكثر من حرب النكبة في العام 1948، والنكسة في العام 1967، وحرب تشرين في العام 1937، والاجتياح الصهيوني في العام 1982، ويستخدم الروائي المذياع الأداة الرئيسية في نقل الأخبار في النشرات الإخبارية في الإذاعات كخط أساسي في البناء المعماري الروائي من خلال الاجتماع اليومي الذي يعقده عمال اليومية في ساحة باب الجابية حول طاولة طفل البسطة ووالده الذي يقدم عليها لهؤلاء العمال الشاي قبل الذهاب إلى ورشات العمل وأثناء الانتظار، حتى يأتي معلم مهنة ورب عمل يختار العمال الذين سوف يذهبون معه.

**الفدائيون .. وفلسطين:**

يظهر الخط الفدائي في الرواية من خلال إتقان طفل الكتابة والتعبير بالكلمات، حيث حفظ نشيدان الثاني عن ظهر قلب بعد «حماة الديار عليكم سلام» هو» فلسطين داري ودرب انتصاري».

ومع الأيام صار هاجس طفل البسطة قراءة البيانات الملصقة على جدران جامع السنانية التي «تتحدث عن بطولات الفدائيين الشجعان، واقتحاماتهم الجريئة لمواقع العدو الصهيوني، ثم أروح أحدث رفاقي التلاميذ في الصف عن هذه العمليات البطولية الخارقة، وأنا اخترع حكايات اقتحام بارعة، وتدمير

مواقع عسكرية إسرائيلية حصينة، وعودة الفدائيين إلى قواعدهم سالمين، يرفعون شارات الانتصار المؤزر، وثورة حتى النصر».

ويحضر طفل البسطة فيلمي الأبطال يولدون مرتين، والعملية الساعة السادسة. وكلما خرج من صالة السينما بعد العرض يسأل ذات السؤال الآتي:»هل يلزمك كي تكون فلسطينياً أن تعلن حبك لها كل حين ؟ لأننا جميعاً نحبها مثل أمهاتنا».

ويسرد طفل البسطة كيف تربى أطفال المدارس السورية في حصة الرياضة على حب فلسطين، إذ يلعبون لعبة: «طاق.. طاق طاقية..»، إذ يفترش الطلاب الأرض على شكل دائرة، فيحمل أحد الطلاب الطاقية، أو المحرمة، ويدور أحدهم خلف التلاميذ مغنياً:»طاق.. طاق طاقية»، فيرددونها معه مرات عدة، فجأة يضعها خلف أحدهم، ويركض باتجاه مكان يجلس فيه.

وما إن ينتبه التلميذ إلى الطاقية خلفه حتى يتناولها، ويركض خلف زميله الذي وضعها وراء ظهره، فإن جلس في مكانه دار بها، وإلا عاد الأول يدُور بالطاقية من جديد وسط غناء التلاميذ وتصفيقهم المتواصل، وهم يكررون هذه الأغنية التي تغيرت كلماتها، فأصبحت: «طاق..طاق طاقية، فلسطين حرة عربية، بدي سلاح وهوية، لأتطوع بالفدائية...».

حينما امتلك التعبير بالكلمات يقول: «الغول الإسرائيلي: يبتلع قمر الليل الجميل في بلاد العرب، بينما يرسم طفل لاجئ طريق الرجوع إلى بلدته في فلسطين، حيث رفاق الحارة والمدرسة هاتفاً مع كوكب الشرق أم كلثوم: (خذوني معكم أيها الثوار، إلى ربا حزينة كوجه المجدلية، إلى القباب الخضر والحجارة البنية..)، خاتماً موضوعه: «إلى فلسطين خذوني معكم يا أيها الرجال، أريد أن أعيش أو أموت كالرجال..».

يذهب طفل البسطة إلى السينما لتعيد تشكيل عالمه الإنساني عندما يهدر المذياع الصغير في أغنية: «فدائي، فدائي..أفدي العروبة دمائي..»، فيشرد الطفل الحالم متجهاً صوب الجبهة، ويسرد مستعرضاً الفيلم قائلاً: «لقد شاهدت مرات عدة فيلم ثلاث عمليات داخل فلسطين، وها هو ذا يوجه رشاشة نحو المواقع الإسرائيلية ليندفع رفاقه الفدائيون- مع تلويحه تشجيع وإكبارٍ من يد رويده- باتجاه تل أبيب مردداً مع العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ: «وسط القنابل، أنزل أقاتل، وأموت أعيش، ما يهمنيش..».

ويتابع الروائي أيمن الحسن وصف ما يجري في الفيلم: «إذ تتعالى حوله الانفجارات، ويتكاثر عليه الجنود الإسرائيليون، يسقط، ثم ينهض من جديد: يموت، ويعيش مراراً، حتى يرفع في النهاية علم فلسطين الحبيبة فوق المواقع المحررة، وهو يغني (وكفاية أشوف علم العروبة باقي..)».

يربط بين علم فلسطين وعلم الثورة العربية مع اختلاف مواقع الألوان «أن ترسيم الوعي الطفلي لدى شخصية طفل البسطة تعتمد على تطور ونمو هذا الوعي تجاه القضية الفلسطينية، والعمل الفدائي الذي أصبح جزءاً من الحياة اليومية لساحة باب الجابية، وتلعب الملصقات (البوسترات) التي تحمل صور الشهداء دوراً كبيراً في تقريب وعي العمل الفدائي من طفل البسطة حتى تتمكن أن تصبح القضية جزءاً من وعي طفل البسطة.

وتنقل لنا الرواية عودة أحد الفدائيين من الشباب الذين كانوا يعملون في ساحة باب الجابية، يكتب الروائي أيمن الحسن، فيقول: «ها نحن نلتف حواليه، بعدما قرر أبو عدنان الاحتفال بقدومه، عبر ضيافة معتبرة كريمة في غرفة الاستقبال، لتنهال عليه الأسئلة بالجملة:

- دخلت الأرض المحتلة ؟
- رأيت فلسطين ؟
- كم عملية نفذت حتى الآن ؟
- ومتى سنخوض المعركة الفاصلة باتجاه تل أبيب ؟

- يرتبك الفدائي أمام غزارة الأسئلة، فيستصرخه المالك محرضاً:- مالك تكلم يا رجل !

—والله يا حجي: الشغله مو لعبة لازم نتدرب بالأول»

ويصف الحسن مكانة الفدائي: «لقد تحولت الفدائي في نظرنا إلى سوبرمان لا يقهر. فهو حتى عندما يموت يستشهد بأسطورة خارقة، وحين يدخل أحدنا صالة سينما الأهرام هرباً من مرارة الواقع، يتفرج خلال ساعة ونيف على انتصارات مصورة بإتقان، ثم يخرج بانتظار العرض القادم هاتفاً بالفدائي مع نهاية الفيلم:»احمل رشاشك، واهجم على إسرائيل، سوف أصفق لك بحماس».

ويوضح ما جرى في لقاء الفدائي حيث: «يحتج أبو عوض مستنكراً ما قاله الفدائي:- هي المسألة ما بدها تدريب يا رفيق. كلها بارودة بخرطشها، بعدما أنشن مليح، وطاخ إجت الرصاصة بعينه. ونتساءل مبهورين:»عين مين ؟».

فيرد أبو عوض في خيلاء: «ما غيره أعور الدجال موشي دايان !».

ويهمس أبو عوض في أذن الفدائي طالباً منه أن يدربه على الرمي: «ما بتقدر تدربني على الرمي باليد اليسار ؟».

ويتابع بلا انتظار الجواب: «كنت أرمي الريشة وهي طائرة بالسماء بس ابن الحرام مختار ضيعتنا قطع أصابعي مثل مالك شايف».

ويعرض الروائي الحسن الصراع بين الفصائل الفلسطينية والنظام الأردني «ومع تصاعد نشيد الثورة الفلسطينية الذي صاحب الطلقات الأولى لانطلاقتها يعلن المذياع الضخم وسط صمت مبطق، كأنه الفناء المؤلم اندلاع قتال الأشقاء في الأردن، وكان أيلولنا الأسود، فأخذ التلاميذ يغنون في حصة الموسيقى نشيد الصمود ( وإن سرقوا زادي،- أنا صامد، وإن قتلوا أولادي، -أنا صامد- وإن هدموا بيتي، في ظل حطامك، أنا صامد..)».

تتحول اللقاءات المفتوحة في استقبال الفدائي من قبل أبو عدنان إلى بوح شفيف روائي في الشخصيات التي تسأل عن كيفية تحرير فلسطين وإيمانها العميق بقدرة العمل الفدائي بقيادة عملية التحرير بعدما فشلت الأنظمة في إنجاز مهمة تحرير الأرض العربية المحتلة، بالإضافة إلى فلسطين ؟!

ويُظهر الروائي الحسن مكانة القدس عبر الجندي جواد الذي يؤدي خدمة العلم في كولبة باب الجابية ويصف أحد لحظاته في الكولبة وخارجها» يخرج من كولبته بعد مدة قصيرة، يحمل كأس الشاي بيمناه، يضعها على سطح البسطة بكل تهذيب شاكراً صاحبها، ثم يقول: «يا قدس يا حبيبتي، غداً سيزهر الليمون، وتفرح السنابل الخضراء

والغصون، وتضحك العيون».

## الجيوش العربية وصراعها مع الجيش الصهيوني:

يعتمد الروائي أيمن الحسن على الراديو في نقل الأخبار عبر البيانات العسكرية ونشرات الأخبار ويسرد جزءاً من هذه البيانات وتصبح من البناء الروائي الذي يسرد عبر طفل البسطة على لسان المذيع، وهذا يحدث كثيراً في الرواية، وأول استخدام له يرتفع صوت المذيع: جاءنا الآن ما يلي: «أصابت مدفعيتنا المضادة للطائرات في العاشرة والنصف من صباح هذا اليوم 1967/5/14، قاذفة قنابل من طراز فوتور. وقد سقطت على الجبهة قرب تل أبو الندى، وتم أسر طيارها الصهيوني».

ويكون رد فعل أبو طنوس صاحب البسطة توزيع الشاي مجاناً، ويشدو في صوت رخيم: «شعبنا يوم الكفاح فعله يسبق قوله، لا تقل ضاع الرجاء إن للباطل جولة..»، ويختمها بالأذان المعتاد مثل فريد الأطرش داعياً إلى الجهاد في سبيل تحرير فلسطين: «اللّه أكبر اللّه أكبر..لا إله إلا اللّه..حي على الفلاح..حي على الفلاح».

يظل يغنيها بعد أي اشتباك جوي، يستبسل فيه طيارونا الأشاوس بطائراتهم الميغ أمام طائرات العدو الحديثة، التي تزوده بها الدول الغربية، ومع كل بيان عسكري عن عملية فدائية، يقتحم فيها الفدائيون العرب مواقع العدو الحصينة، كي يقضوا مضاجع المحتلين: «وثورة حتى النصر».

نرى رد فعل أبو طنوس»أيام ال67، أو ما يسمى حرب الأيام الستة، رمى أبو طنوس مذياعه إلى الشارع فما انكسر، بقي يضج بالأغنيات الحماسية بينما الشارع صامت في ذهول.

وقف طابوران من المواطنين أمام مخبز المشروح عند مدخل باب سريجة، بينهم طفل البسطة، وقد حمل بارودة خشبية على كتفه الأيسر، واصطف عند نافذة العسكريين الذين يوقفون سياراتهم المطلي زجاج أضوائها بالأزرق الكحلي على مقربة من الفرن، ويأخذون ما يحتاجون، فيلوح لهم ببارودته، إذ يمضون عائدين إلى معسكراتهم».

وبرعاية الزعيم العربي الأسمر جمال عبد الناصر ولدت راية الجمهورية العربية المتحدة وارتفع «رايات البشرى بالنصر القريب على إسرائيل وتحرير فلسطين». لكن الواقع لم يأتِ على أهواء الراغبين في هزيمة الكيانَ الصهيوني» فراحوا يطلقون حوله الشائعات المغرضة، لا سيما ونحن في حالة حرب حيث الأجواء مشجعة أن يرتاب المرء حتى بأخيه، فالخيانة- وفق اتفاق عام- هي السبب في انهزاماتنا المتتالية نحن العرب ذوي الملايين الكثيرة، أمام الكيان الصهيوني الصغير، المسمى إسرائيل».

وفي حرب شهر رمضان بالعام 1973، يبين الحسن أجواء مدينة دمشق إذ يقول: «مافتئت مدينة دمشق ترتدي بزه الحرب، وما زالت الطائرات الصهيونية المعادية لا سيما طائرات الميراج- كي تذكرنا بذراع إسرائيل الطويلة- تختار، عن سابق عمد، لحظة إعلان الإفطار لتمارس بهلوانياتها في اختراق العاصمة خلال شهر رمضان المبارك، مع الأيام تعودنا الانبطاح على الأرض كلما سمعنا صفارة الإنذار، حتى صرنا نفعل ذلك تلقائياً».

ويرصد الروائي الحسن حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية التي اندلعت بين مصر والكيان الصهيوني على جبهة سيناء عبر قناة السويس بتاريخ ( 6- آذار/مارس ) في العام 1969، واستمرت حتى قبول مبادرة وزير الخارجية الأميركي وليم روجرز بتاريخ (8آب/ أغسطس1970).

ويظهر تلك الحرب عبر الشاب المصري زينهم بعدما ظل يردد مواويل الصبر للمطرب الشعبي محمد طه يقولها الآن بلهجة الصعيد المحببة أمام عمال باب الجابية: «ح نحارب يا رجالة». ويعرض الروائي الحسن لمعركة جوية في سماء حيفا الفلسطينية العربية: «وقد التف العمال حول مذياع أبي عدنان الضخم بعدما ارتفع صوته هادراً مع شارة المارشال المعتادة التي تسبق البيان العسكري: جاءنا الآن ما يلي: قام تشكيل من المقاتلات السورية، في الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة، باختراق جدار الصوت فوق مدينة حيفا رداً على استفزازات العدو السافرة فوق المدن العربية. وقد عاودت مقاتلاتنا إلى قواعدها سالمة، ولم تتمكن وسائط الدفاع الجوي «الإسرائيلي» من التصدي لها أثناء التحليق على ارتفاع منخفض».

ويخلد الروائي الحسن اسم الطيار السوري البطل عزت بزه صاحب هذا الاختراق الشجاع لجدار الصوت فوق مدينة حيفا.

رد الطيار السوري على انتهاك الأجواء السورية جاء في قيام تشكيلة من المقاتلات السورية في اختراق جدار الصوت فوق مدينة حيفا رداً على استفزازات العدو الصهيوني الساخرة فوق المدن العربية بتاريخ 1970/1/19، ومعركة الطيران فوق دمشق بتاريخ 1969/7/8، واستشهاد ثلاثة من طيارينا الأبطال بينما أصيب للعدو أربع طائرات سقطت غرب خط وقف أطلاق النار وتكررت عملية فتح جدار الصوت فوق مدينة حيفا المحتلة يوم اتشرين الثاني 1973، في أثناء حرب تشرين، أما الطيار البطل حسن علي كردي من قرية تل ترفس، فلقد انقض بطائرته الميغ وسط مصفاة تكرير النفط، فبقيت النيران مشتعلة فيها لأيام عدة. ويسجل الروائي الحسن صوت فريد الأطرش:

«شعبنا يوم الكفاح فعله يسبق قوله
لا تقل ضاع الرجاء إن للباطل جولة..»

ويقدم عبد الحليم حافظ أيضاً «عدى النهار والمغربية جيه، تتخض ورا ظهر الشجر، وعلشان نتوه في السكة شالت من ليالينا القمر..».

ويتابع الروائي الحسن نشرات الأخبار التي عند بدء الاستنزاف على الجبهة المصرية بتاريخ 8 أيار 1969، وقبلها على الجبهة السورية في المرحلة الأولى حزيران 1967، إلى حزيران 1969، وتصدت طائراتنا في أول اشتباك جوي في1969/2/12.

إن قراءة خطي العمل الفدائي ومواجهة الاعتداءات الصهيونية على الأرض العربية في الرواية التي تتضمن خطوط روائية أخرى مثل حضور المرأة، والصراع الطبقي والاجتماعي، وكذلك حضور الأغنية وكلمات الأغاني، بالإضافة إلى حضور المطربين ذاتهم، والسينما الروائية والوثائقية والتسجيلية، وشرائح من الطبقة العامة اليومية القادمة من الريف السوري، ورجال الدين، فرواية «في حضرة باب الجابية (طفل البسطة)» تستحق القراءة وكتابة أكثر من دراسة حولها.

# عن قصة «الثور الذي سرق جزمة الكنغر» لخالد جمعة

بدر عثمان (بوابة الهدف)

تذكّرت وأنا أقرأ قصّة «الثّور الّذي سرق جزمة الكنغر» (مؤسّسة تامر، 2019 ) جُملةً للنّاقد التّفيكيكي الشّهير جاك داريدا، وهي الّتي تتضمّن دعوتهُ المُستمرّة في التّشكيك بفكرة «النّقاء» الوهميّة، أو بديهيّة النّقاء، لأنّهُ ببساطة يدفعنا إلى تحليل تقني من شأنه أنْ يؤدّي إلى بساطة أصل غير قابل للتحلل، أو التّحليل.

ومع أنّي صرتُ مُقلًّا بأدب الطّفل، إلّا أنّ سؤالًا بنيويًا كان يشغلني عند ذكر هذا الأدب؛ وهو سؤال السّلطة. سلطة الكاتب ممثلًا برسوله الرّاوي مُجسّداً أخلاقياتهُ في إطارٍ تَنظيري دعويّ. والجواب ولو جزئيًا جاء في قصّة الثّور. سأقول كيف ولماذا وأين لاحقاً. وفيما يلي سأذكر نقاط ثلاثة، حاولت من خلالها بناء هذه المُداخلة الّتي قد يكون أنّها أقلّت في الجانب الشّكلاني للنصّ لصالح الجانب المضاميني على عكس عادتي في قراءة النّصوص.

أولاً: قصّة الثّور؛ تخييل واقعيّ

تلعب قصّة الثّور بين جزئيتين أصيلتين في الأدب، مضموناً يحمل تخييلا يجعل المعلومة الواقعيّة أشبه بالمخيال. وشكلاً صديقاً ينتمي إلى البناء القصصي الهرميّ، البداية، الحبكة، الخاتمة.

وفي البداية، سأقوم بمحاولة للتفريق بين أمرينَ، الأوّل: قصصٌ أطفال تستخدم الخيال وتوظّفه. الثّاني: قصص أطفال ذات بناءٍ خياليّ. وما يُخيّل لي، أنّ قصّة الثّور من النّوع الثّاني؛ أي الّذي يتّخذ الخيال قاعدة بناء لا تقنيّة لإنقاذ القصّة حينَ تُغرقها واقعيّة الواقع الفجّ. وهي بهذا الأمر إذ تُحقّق توظيفاً واقعيًا للحقيقة بقالب خياليّ، عبر تمرير مبني على مَعلومات دقيقة تمّ استخدامها في الحبكة.

ثانياً: انكسار البطل لصالح الجماعة

إنّ من المُلفت في هذه القصّة، ذهاب جُمعة إلى كسر سلطة الفرد البطل، إلى ثالوث لا علاقة لهُ بالدّين، ولكنّ بالسّياسة. رُكّب هذا الثّالوث توظيفيًا لحلّ مُشكلة الفرد. وقد تبدو مصداقيّة مؤسسة تامر هُنا واضحة في انحيازها لنشر هذا العمل رادّة لُبّ فلسفته الجماعيّة إلى فلسفتها المُجتمعيّة، مشياً نحو مقولتها الذّائعة مُجتمع حر وآمن، والّتي إذا فككناها قليلا نرى أنّها مُجتمع حر لفرد آمن.

ثالثاً: الحوار المُمتّد؛

أسلوب لكسر سلطة الرّاوي يظهرُ في القصّة حواراً ليس بالقصير بين شخصيّاتها الّتي اتّفقت على حل لإرجاع الحق الّذي وازاهُ المؤلف بالجزمة. ويوظّف فيها حواراً أراهُ انعكاساً لفكرة إيتالو كالفينو، النّاقد والرّوائي الإيطالي، في كتابه "Uses of Literature" نيويورك 1982، والّذي يفكّك فيه فكرة الصّوت في النصّ؛ بالمعنى السّلطويّ. فلمن الصّوت في القصّة؟ وفي حلّ المُشكلة، ينأى جمعة بنفسه قليلا ويعطي الصّوت للثالوث لحلّ القضيّة، وفي هذا كسر جميل لسلطة «الرّاوي الإله» كما أسميتهُ مقالات بحثت في تقنيّات السّرد وبشكل واضح تجربة أمبرتو إيكو في كتابه «تأمّلات في السّرد» المركز الثّقافي العربي . 201 وذهاباً إلى الختام، لا بدّ من توجيه تلويحة محبّة للرسّام خالد جرادة، لهذه الرّسومات الّتي تحمل النصّ بشكلٍ خفيف ومتناسق.

وأخيرًا، فكّرت ذات مرّة بعدم انتشار مهول لفكرة الأطفال يكتبون أدباً للأطفال. فلماذا لا يكتبون لبعضهم وينتهي دور الكبار؟ من الواضح أنّ حياتهم أجمل من الكتابة عنها فيعيشونها، وحياتنا بائسة ولذا نكتبْ.

# مفهوم العلمانية: التعريف والأنساق والحالة الفلسطينية

## الجزء الثالث

د. وسام الفقعاوي

**في البداية يجب الإقرار بأن الشريعة الإسلامية فكراً ومنتجاً إنسانياً وليست فكراً إلهياً، وخضعت هذه الشريعة، لاجتهادات وتغيرات مختلفة عبر مراحل زمنية عديدة، قامت في معظمها على تفسير وتأويل النص الديني والأحاديث النبوية، لكن المشترك بينها على ما يبدو واضحاً، هو محاولة «تأليه» هذا المنتج البشري، من باب تحصينه وفرضه، مما أغلق لاحقاً باب الاجتهاد وإعمال العقل، رغم التغييرات والتطورات العلمية الكبيرة والهائلة التي جرت وكانت تستوجب إعادة القراءة والنقد والتجديد والتحرر من أسر القيود التي فرضت على العقل، وهذا ما أدركه الفيلسوف والفقيه ابن رشد، حين قال: إن العقل يجب أن يقدم دائما على النقل. فحيثما قام تعارض بين العقل وبين المعنى الحرفي للنص الديني، وجب علينا أن نلجأ إلى تأويل معنى النص بحيث لا يتعارض مع العقل. وما ذهب إليه ابن رشد كان خطوة جريئة، لذلك حورب وأهمل في تاريخ الفكر الإسلامي، ولم تستفد منه المجتمعات العربية الإسلامية، حيث أقفل الباب أمام ما أنتجه هذا الفيلسوف والفقيه الذي أحرقت كتبه في وضح النهار، في الوقت الذي وجد طريقه في تاريخ الفكر الغربي، الذي انكب ينهل من قبس نوره الفكري، إلى أن كانت فلسفة ابن رشد أحد أهم الأصول التي نما عليها الاتجاه العقلاني في أوروبا الحديثة.**

### أضلاع وأركان العلمانية:

العلمانية تعني فصل المجال الاجتماعي إلى دائرتين: الأولى عامة (تعتبر محايدة تجاه الدين والمعتقدات، والأخرى خاصة (يمكن في داخلها التعبير الحر عن المعتقد)، وبالإمكان اختزال العلمانية بثلاثة أضلاع:

الضلع الأول: هو عدم تسلط الدين أو أي نوع آخر من المعتقدات على الدولة، ومؤسسات المجتمع والأمة والفرد.

الضلع الثاني: هو حرية الضمير والعبادة والدين والعقيدة، وذلك في التطبيق المجتمعي وليس كمجرد حرية شخصية باطنية.

الضلع الثالث: هو المساواة في الحقوق بين الأديان والمعتقدات، مع ضرورة تطبيق ذلك واقعياً في المجتمع.

انطلاقاً من الثلاثة أضلاع المذكورة للعلمانية، وهي عدم التسلط والحرية والمساواة، تكتسب أركانها الأربعة التالية خصوصيتها:

الركن الأول: الدولة، بمعنى تحقيق استقلال متبادل بين الدولة والدين. فالدولة الحديثة تشكل مجالاً للسلطة الزمنية، بينما الدين مجاله السلطة الروحية، ويستند هذا الاستقلال المتبادل إلى المساواة المدنية والسياسية بين المواطنين.

الركن الثاني: الفرد، حيث تعني العلمانية الفصل بين الانتماء الوطني وبين الانتماء الديني أو الاعتقادي، وسيادة الحرية الاختيارية، فيما يتعلق بالأطر الفكرية والمرجعيات الدينية أو الفلسفية التي ينتمي إليها الفرد.

الركن الثالث: مؤسسات المجتمع، هذا الركن يعني تحديد دور الدين، كسلطة مستقلة قائمة على مؤسسات خاصة بها، تلعب دوراً في الحياة المجتمعية في مجالات واسعة، تبدأ من منظومة القيم والأخلاقيات الاجتماعية، وتنتهي بشؤون العقيدة والإيمان وقضايا الضمير، مروراً بمجالات التربية والتعليم بكافة مستوياته ومؤسسات البحث والنشر بالوسائل كافة، وقضايا الرفاه والصحة والعدالة والضمان الاجتماعي ومختلف القطاعات الاجتماعية.

الركن الرابع: الهوية الوطنية، التي تتشكل بالأساس حول التراث الوطني المشترك والقيم الوطنية الموحدة التي تجمع وتؤطر أبناء الجماعة الوطنية.

لكن أضلاع العلمانية كما أركانها، تفقد وجودها وقيمتها في المجتمعات التي يجري فيها تديين السياسة، وتسييس الدين كما حال المجتمعات العربية، خاصة في ضوء بروز طبقة تحتكر تفسير الدين، وتدّعي أن لها وحدها حق التحدث باسمه وإصدار الحكم فيما يوافقه من الآراء والمذاهب وما لا يوافقه، أي أنها طبقة «كهنوتية» وإن لم تتسم بهذا الاسم صراحة. وثانيتهما اعتقاد تلك الطبقة أن ما ورد في المصادر الدينية السابقة من تشريعات وأجوبة وحلول هي تعاليم مُلزمة ولا يجوز تعديلها أو تغييرها، سواء ما يتعلق منها بأمور العقيدة أو الحياة [1].

### إدغام الدين في السياسة والعكس:

ليس بجديد القول بأن قوى الإسلام السياسي تعمل على توظيف الدين في خدمة أهدافها ومآربها السياسية الخاصة، كما هو حال مختلف الأنظمة الدينية «الثيوقراطية»، حيث يكون الدين (عقيدة ونصاً) بمثابة منظومة تبريرية متكاملة للقوى أو الدولة القائمة على أساس ديني.

كما ليس بجديد أن تلجأ تلك القوى إلى استخدام الدين في بناء تصورها الخاص، بهدف «هندسة المجتمع»، من خلال إقحام الحيز العام بخصوصيات

الحيز الشخصي، لكن ما يلاحظ هو تعاظم المسارعة إلى احلال الفتوى الدينية محل الرأي أو الموقف السياسي في القضايا العامة التي تنتسب إلى يوميات التجاذب السياسي. بحيث باتت تلجأ إليه قوى الإسلام السياسي من خلال هيئات وشخصيات دينية تعود بمرجعيتها إلى هذه القوى. وهذا بدوره ما يزيد من الانقسام الاجتماعي والصراع السياسي، ويمثل تحدياً رئيسياً في مختلف المجتمعات العربية التي تعيش في هذه الأيام حروب أهلية معلنة ومضمرة [2].

يبدو غريباً في القرن الحادي والعشرين أن يوجد من يدعو إلى قيام الدولة الدينية التي تنزع بطبيعتها إلى أن تكون دولة غير ديمقراطية أو ديمقراطية مقيدة أو حتى مستبدة، يكون الحاكم فيها ظل الخالق في الأرض، ويحكم ويصدر التشريعات والقوانين، ويرسم السياسات، ومن يطيعه فكأنه أطاع الخالق، ومن خالفه في الرأي أو حاربه، فإنما يخالف الخالق ويحاربه، مع أنه مجرد بشر، قد يصيب وقد يخطئ، لكنه يضفي على نفسه صفات القداسة ليصبح هو الوكيل والمتحدث الوحيد.

إن جعل الدين أساساً في الفلسفة السياسية لأي دولة، ينزل الدين من علیائه (أو يستخدم) سياسياً من هذا الطرف أو ذاك، وهذا ما يثير مشكلات بحق مبدأ المواطنة، ومبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع البشر المنضوين في إطار وطن محدد. والحال، فإن العلمانية ليست مناهضة للدين، بل هي تحفظ هيبته، وسموه ومكانته الملبية لحاجة روحية في النفس البشرية، مبتعدة به عن سوق المزايدات السياسية. وإذا صح، فيمكن القول إن العلمانية متناقضة مع الدين المجير سياسياً، لأنه يطرح تصوراً فكرياً لنظام سياسي يختزل دور الدين ويحشره في صراعات دنيوية هو في منأى عنها.

إن الدولة العلمانية هي مجرد تكريس لمبدأ الحكم البشري الدنيوي، وفيه يستمد الحاكم شرعيته من تفويض المحكومين، ويسن المواطنون أو من يمثلونهم الدساتير والقوانين، لتعمل السلطات المختلفة بموجبها وفي إطارها بصلاحيات محددة.

فالمسألة الأساسية إذاً أن الدولة العلمانية ليس ضد الدين، بل ضد تغول الدولة أو محاولتها أن تتقمص دور الإله، تحت مسمى ديني أو قبلي أو قومي أو أيديولجي. والخوف أيضاً ليس من الدين، ولكن يأتي الخوف كله من أن تجلس مجموعة من الموظفين على مقاعد الحكم، ليحكموا باسم الإله، وينفردوا بتفسير كلماته، ويحتكروا الحقيقة والفتوى، والسلطة والقوة، والثواب والعقاب.. وهم ليسوا بأكثر من بشر غير منزلين أو مبعوثين أو مفوضين. [3]

وهذا لا يعني معارضة وجود أحزاب دينية من حيث المبدأ، فثمة كثير من الأحزاب ذات المرجعية الدينية في أوروبا وأمريكا (أحزاب الديمقراطية المسيحية في ايطاليا وألمانيا وعدد آخر من الدول)، وحتى في بلد مسلم ك ايكرت (حزب العدالة والتنمية)، ولكن هذه الأحزاب جميعها تشكل جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع المدني والسياسي العلماني في بلدانها، ولا تطرح أبداً العودة بمجتمعاتها إلى نسق الدولة الدينية.

إن هذه الأحزاب تتعاطى مع الدين كمرجعية عقيدية فكرية، وليس كمرجعية تشريعية وقانونية. إنها تتعاطى مع الدين كمنظومة قيم ومفاهيم أخلاقية واجتماعية، بوجهة وطموح تلبية روحية لدى الإنسان والمجتمع، وهي لا تتعاطى مع الدين كمنظومة تشريعية تنزع إلى الحلول مكان المرجعيات التشريعية ذات الاختصاص المنبثقة عن عملية ديمقراطية تعبر عن إرادة الشعب، مصدر السلطة والسيادة في المجتمع وأرض الوطن.

كما أن دعاة الدولة الدينية يرفضون مبدأ أن تكون علاقة الإنسان بربه مسألة شخصية تخص كل فرد على حدة، ويتطلعون إلى التوسط بين البشر والخالق، كمرجع وحيد معتمد، فتسييس الدين يفضي إلى خطر الخلط بين الدين (المقدس) وبين الرأي في الدين (وهو إنساني) يحتمل الصواب والخطأ، بينما دعاة تسييس الدين يسعون إلى فرض رأيهم فرضاً، بوصفه صحيح الدين، وليس باعتباره واحداً من آراء واجتهادات شتى.

إن القيمة التي تحاول أن تكرسها الدولة العلمانية، هي قيمة كل إنسان (مواطن) من دون الرجوع إلى معتقده الديني، وعلى استقلالية الممارسة السياسية عن الانتماء الديني، وعلى استقلالية الوظيفة الحكومية عن الانتماء الطائفي، وعلى استقلالية المجتمع المدني، بأفراده وتجمعاته، عن الطوائف والأديان والعقائد، وعلى استقلالية المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية والإعلامية عن الأديان والطوائف وسلطاتها، وعن استقلالية قوانين البلاد عن الشرائع الدينية. فالعلمانية تعني استقلالية القيم الإنسانية، كالعدالة والمساواة والديمقراطية والحرية الدينية والفكرية، عن جميع المصادر الدينية [4].

إن أغلب التيارات الأصولية الحديثة في الإسلام تنطلق من مقولة هي أن «الإسلام دين ودنيا»، وفي التأصيل البرنامجي لهذه المقولة، أو للدولة الإسلامية التي يناط بها تطبيق الشريعة، وتقوم على أساسها، عمدت حركة الإخوان المسلمين في رصه إلى اقتراح «هيئة فقهية» تشرف على عمل السلطة التنفيذية والتشريعية، أي يصبح دورها أشبه بالدور الذي يلعبه المرشد الأعلى للدولة الإسلامية في إيران، القائمة على أساس «ولاية الفقيه». في حين وجد من العلماء والفقهاء المسلمين ممن عرفوا بجيل الرواد في الإصلاح الديني في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ممن نقدوا ذلك مبكراً، من محمد عبده، الذي أكد على أن الحاكم مدني من جميع الوجوه. إلى عبد الرحمن الكواكبي الذي اعتبر أن الأمم ارتقت بعدما عزلت الدين عن شؤون الحياة، وجعلت الدين أمراً وجدانياً وشخصياً محضاً.. إلى علي عبد الرازق الذي انتهى إلى القول بأن: « لا آيات القرآن المجيد، ولا الفلسفة النبوية، تلزم المسلمين بأي نوع من أنواع الحكم... وأن الله

ترك للمسلمين أن يختاروا ما يناسبهم من أنواع الحكم»، مستنتجاً أن بإمكان المسلمين إقامة نظامهم السياسي على أساس أحدث نظريات العقل البشري وخبرة الأمم..الخ [5]. وصولاً إلى رجال دين معاصرين، مثل أحمد بدر حسون وغيره.

أما لدى التطبيقات المعاصرة لأحزاب إسلامية، حكمت في دول هنا أو هناك، فإننا نقع على طيف متعدد لأنظمة متباينة، بدءاً من نظام «طالبان» للخلافة في أفغانستان، الذي حاول إعادتها قروناً إلى الوراء، مروراً بحزب «العدالة والتنمية» التركي، الذي يولف بين الإسلام الروحي والعلمانية السياسية مؤكداً التزامه بالنظام العلماني الذي أرساه أتاتورك.. وقد ينتهي براشد الغنوشي، زعيم حزب النهضة التونسي، الذي دعا إلى الاقتداء بحزب «العدالة والتنمية» التركي، وأعلن تبنيه لنهجه السياسي والفكري في التوفيق بين جذوره الدينية والنظام العلماني الديمقراطي، وإن جاءت ممارسة الحزب بعد وصوله للسلطة في تونس، عكس هذا الإدعاء والإعلان،الأمر الذي أدّى إلى معارضة شعبية عريضة لسياساته، دفع ثمنها في الانتخابات التونسية الأخيرة، وكذلك المشهد المصري ليس ببعيد عن ذلك.

كما هو معروف فإن وظيفة السياسة هي صنع الإجماع الوطني. الدولة الوطنية الحديثة لا تطلب إلا إجماعاً عاماً على قيم عليا مشتركة تتصل بوحدة البلاد والانتماء لها، ووحدة مؤسساتها، واحتكارها السيادة في مجالها الإقليمي والتمثيل الدولي، أي أنها تتعالى فوق الهويات الجزئية، دينية كانت أم قومية أم اثنية، فالدين متحيز لجمهور المؤمنين، والإثنية متحيزة لقاعدتها، أما الدولة فيجب أن تكون للكل، لجميع مواطنيها.

وعليه يطرح السؤال: هل تستطيع قوى الإسلام السياسي على اختلافها، أن تحقق المساواة في مجتمعاتنا المعاصرة؟ ألا يبدو هذا ممتنعاً منطقياً، قبل تعذره سياسياً وعملياً، فعندما يتم تكفير الخصوم وإقصائهم إلى خارج مربعات الشرعية، الدينية أو الوطنية، فإن ذلك لا ينتج أي وحدة أو سيادة، بل يخلق توترات وصراعات تطيح بأية إنجازات، أما تحييد الدين عن الصراعات السياسية، فيعني إبقاء الصراع في مستوى الاختلافات القابلة للحوار والحلول على قاعدة التسوية وإجتراح الحلول المناسبة على قاعدة القاسم المشترك.

لكن العلاقة الملتبسة بين الدين والسياسة في ثقافتنا وتراثنا لا تزال تحكم رؤية الكثيرين منا، بل رؤية معظمنا لما هي الدولة الحديثة وما هو المجتمع المدني. فما السبيل إلى اعتراف هؤلاء بأن الدين غير السياسة والسياسة غير الدين؟ ما السبيل إلى الاعتراف بأن الدين مجال الذاتية، أي مجال الإيمان، والسياسة مجال العلاقات الموضوعية التي تعينها نسبة القوى، وأن مبدأ السياسة الحديثة هو الشأن العام والمصلحة العامة، ومنهجها نفعي (براغماتي) دوماً، ولا يتسق في معظم الأحيان مع القيم الروحية والأخلاقية للدين؟ ما السبيل إلى إدراك حقيقة أن الدولة الوطنية الحديثة علمانية بطبيعتها ولا تحتاج إلى أيديولوجية علمانية؟ بل أكثر من ذلك ما السبيل إلى أن يدرك أهل الدين أن ما في الدين من قيم إنسانية قد تحقق بالفعل في الأسس الفكرية والأخلاقية للدولة الحديثة، ولا سيما في فكرة المواطنة، بركنيها الأساسيين: المساواة والحرية، اللتين تضعان المسؤولية الفردية، القانونية والأخلاقية، فلا تزر وازرة وزر أخرى؟ [6].

**العلمانية ومسألة الخصوصية:**

يلفت النظر محاولة بعض قوى الإسلام السياسي لترويج مقولة سلبية عن العلمانية باعتبارها عملية «سلب للخصوصية العربية والإسلامية» وكجزء مما يسمى «بالغزو الثقافي» المرافق للهيمنة والسيطرة الغربية المتجددة على المنطقة العربية. وغالباً ما نقع على دعاوى من قبيل «مكافحة الإلحاد والعلمانية والشيوعية والماسونية» موضوعة في «سلة» فكرية وثقافية واحدة، من دون تمييز بين مفهوم وآخر.

إن هذا الموقف ينطلق من خصوصية إسلامية استثنائية، تتعامل مع الدين كمقولة معيارية، أولية ونهائية، تحدد هوية عربية معادية للغرب بكل ما فيه من أفكار وتقاليد وآليات قانونية ودستورية وسياسية، ولا تولي هذه الرؤية اهتماماً يذكر ببناء منظومة فكرية وثقافية عربية، تنطلق من خصوصيات الواقع العربي المعاش، لكنها تبقى منفتحة، في الوقت نفسه على الحضارات والثقافات الأخرى، ومن دون أن تهتم أيضاً، بدرس تجارب الشعوب والثقافات الأخرى، التي خضعت لعلاقات هيمنة غربية (الصين، الهند، كوريا، وكذلك بلدان إسلامية على غرار تركيا، أندونيسيا، ساحل العاج، أوزبكستان الخ..) والوقوف على الأسباب التي سمحت لها بالتفلت من الهيمنة الخارجية والنهوض بواقع مجتمعاتها اقتصادياً وسياسياً وثقافياً... الخ.

يُفسّر حليم بركات هذا الواقع، بما يتجاوز تناول المسألة من بوابة الخصوصية، حيث يذهب للقول: «ففي الزمن الذي يعيش فيه العالم، زمن الحداثة والعولمة وثورة العلم والمعلومات والاتصال، يشهد مجتمعنا العربي عودة إلى الماضي عبر تجديد عوامل التخلف فيه، لم يعرف مثيلاً لها في تاريخه الحديث منذ مائة عام أو يزيد، فهو إلى جانب ترعرع الأنماط القديمة القبلية، والحمائلية، والعشائرية، والطائفية، والأصولية، والتعصب الديني، يوصف اليوم بحق على أنه مجتمع شديد التنوع في بنيته وانتماءاته الاجتماعية، أبوي، يعاني النزعة الاستبدادية على مختلف الصعد، مرحلي، انتقالي، تراثي، تتجاذبه الحداثة والسلفية، شخصاني في علاقاته الاجتماعية، يعيش حتى الوقت الحاضر مرحلة ما قبل المرحلة الصناعية والتكنولوجية، وبالتالي مرحلة ما قبل الحداثة .[7]"والمجتمعات التي هكذا بنيتها تكون ضعيفة وهشة، وتخشى من الجديد القادم، حتى ولو كان فيه نهضتها، حيث تبقى عوامل الكبح تفعل فعلها السلبي، وتعزز من مقولات «الغزو الثقافي."

وفي هذا السياق، نجد نقد عبد الوهاب المسيري للعلمانية الذي ينطلق فيه من موقع ديني أصولي، من خلال النظر إليها كمكون ينسب إلى سياق حضاري وتاريخي خارجي، فهي «وليدة الغرب ومستنبت مستورد مفروض على المجتمعات العربية من قبل الغرب، ومن قبل النخب الحاكمة (المتغربة) المتحالفة معه». وتعامل مع العلمانية على أنها «متتالية تاريخية تطورت بشكل حصري في السياق الغربي، وعكست الأزمات والحلول والصراعات والمساومات السياسية والفكرية والنظرة الفلسفية المتكونة وتوترات علاقة السلطة الدينية بالزمنية... الخ».

وعلى هذا الأساس ميز المسيري بين «علمانية شاملة» (تشكل رؤية تفسيرية شاملة للعالم والكون، وترتكز إلى عناصر مادية وعقلانية صلبة وأداتية ترفض أي مرجعية أخرى)، معتبراً أن هذه العلمانية منحازة ضد الأديان، وتتفشى في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعاملاتية والأخلاقية، ولذلك هي مرفوضة عنده، وبين «علمانية جزئية» ينحصر تطبيقها في المجال السياسي فقط، وهي مقبولة لديه [8].

بعيداً عن إدغام وكأن العلمانية والحداثة والاستعمار وما بعد الحداثة والعولمة... وكأنها كلها مسميات لشيء واحد هو نمط التطور والسيطرة الغربية على العالم سياسياً وفكرياً وعلمياً، فهناك من ينطلق في اختلافه مع رأي المسيري، واصفاً العلمانية «كصيرورة تاريخية أكثر منها رؤية للعالم». وهي وإن نشأت في أوروبا في سياق الصراع مع وداخل الكنيسة، إلا إنها تجاوزت منشأها إلى مختلف أرجاء المعمورة، وصارت – كما الحداثة – شأنا من شؤون حياتنا التي لا مفر منها في سياق ترتيب علاقة الدين بالمجال العام.

إن الإصرار على أن العلمانية خاصية ثقافية متعلقة بالغرب وحده، فهذا غير صحيح، ويهدف إلى التأكيد على أنها غير قابلة للانتقال إلى ثقافات أخرى، خلافاً للمنطق والعقل. وهناك عدد كبير من الكتاب والمفكرين الغربيين أنفسهم، من يرفض مثل هذا التصنيف المستند إلى أن العلمانية «خصوصية ثقافية غربية»، حيث يذهب هنري بينا – رويث [9] إلى أن التمايز بين الإنسان الفرد وبين الشخص العام (المواطن) يعبر عن امتلاك روح الحرية، وليس خصوصية ثقافية غربية.

ويضيف بينا – رويث بأن أي حضارة لم تفرز مثل هذه الحرية بشكل عفوي، فمن يقارن بين الإسلام المنفتح والمتسامح في مملكة قرطبة (وفيلسوفها ابن رشد) في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وبين المسيحية المتزمتة والمتعصبة في حقبة محاكم التفتيش، سيقف على خصائص للحضارات لا علاقة لها بعقيدة دينية بعينها بقدر ما هي نتاج لتطور اجتماعي ومجتمعي موضوعي.

ويؤكد رويث أن «المساواة لم تكن اختراعاً مسيحياً، بل كانت موضوعاً أساسياً في الفلسفة السياسية اليونانية، فنجدها عند أفلاطون وأرسطو، وكذلك الرواقيين، كما يعود الفضل بإقامة النموذج السياسي والقانوني للمساواة وحقوق الإنسان إلى المثل الأعلى لعصر التنوير الذي سبق وهيأت له الإنسانية العقلانية».

طالما أن ثقافة الآخر ومنجزاته الفكرية والعلمية والتكنولوجية، ستبقى حاضرة أمامنا «كخصم» حضاري، فالأجدر بنا أن ننطلق في معرفة الآخر والتفاعل والحوار والتلاقح معه، من بوابة معرفة الذات ومسآلتها ونقدها، أي ايقاظها من سباتها الحضاري، والتصالح معها أولاً، كي يتم معرفة نقاط ضعفها وقوتها، ففهم الأنا/الخصوصية على حقيقتها هو المدخل والحل لفهم الآخر، وأخطر ما قد يقف حائلاً أمام هذا الفهم، هو التعصب للخصوصية والاستقواء بالدين وتوظيفه ضد العقل والتقدم. فالعقل هو من «يقوم بفعل التصفية الذاتية والقطيعة المعرفية مع ميراثه السلبي، ويمارس الفاعلية نفسها حين يضع ميراث الآخر أو أقوال الغير موضع المسآلة، فيؤكد حضوره النقدي إزاءها، ولا يتلقاها التلقي المخدر الذي يكتفي بسلب الاستقبال، بل يتلقاها التلقي الفاعل الذي يتحول بعملية الاستقبال إلى عملية إعادة للإنتاج وإسهام فيه. [10]"

المراجع:


[1]. محمد النويهي: نحو ثورة في الفكر الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.

[2]. إبراهيم غرايبة: العلمانية في الدين، والدين في العلمانية: التناقض، الجدل، الاستيعاب، الحياد، موقع مؤمنون بلا حدود، بتاريخ: 21 تشرين ثان (نوفمبر) 2016: https://www.mominoun.com/articles

[3]. وائل نوارة: ضد الدولة الإله، في كتاب: الليبرالية في العالم العربي، رؤى وتصورات لسياسيين عرب، تحرير: رونالد مينا ردوس وأحمد ناجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.

[4]. نضال عبد القادر الصالح: المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006.

[5]. علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، قسؤملا قيبرعلا تاساردلا رشنلاو، ط1، 2000.

[6]. جاد الكريم الجباعي: العلمانية من منظور الدولة الوطنية، رابطة العلمانيين السوريين: https://ssyriana.blogspot.com/2016/11/blog-post_.html

[7]. حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2000.

[8]. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002.

[9]. هنري بينا رويث: ما هي العلمانية؟، ترجمة: ريم منصور الأطرش، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 200.

[10]. جابر عصفور: أنوار العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

# رحلت مُحسنة توفيق..
# لكن «بهية» على قيد الحياة!

أحمد بدير–مصرر ومعد تقارير

**«طُلب مني تغيير مواقفي السياسية، لكنني لم أفعل، كنت دائمًا أسأل نفسي عن سبب تظاهر العمال والطلبة منذ أن كنت صغيرة، وعرفت أنهم عانوا من الضغط والكبت وسوء المعيشة، وظلت حكايات كتلك تلازمني في حياتي.. قررت أن أعيش وسط الناس، وذهبتُ للمُخيمات الفلسطينية، وتعلمت منهم "الإصرار والتحدي**

«لم تنتظر بهيّة انتهاء خطاب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد نكسة العام 1967، الذي أعلن فيه تخليه عن أي منصب رسمي، ، حتى خرجت مُسرعةً إلى الشارع، وبصوتٍ عالٍ صدحت بجملتها الشهيرة «لأ، هنحاربً، أنا بهية وبقول لأ، لا أبدًا هنحارب.. هنحارب».

الفنانة مُحسنة توفيق التي جسّدت دور بهية، ختم المخرج المصري الكبير يوسف شاهين بجملتها الشهيرة فيلم «العصفور» في العام 1974، لتصبح بعد ذلك رمزًا للوطنية ولمصر، حيث جسدت صرختها في نهاية الفيلم رغبة الشعب المصري في النضال بعد تنحّي الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم، وهو القرار الذي تراجع عنه فيما بعد تحت الضغط الشعبي.

عُرفت الفنانة مُحسنة توفيق بمواقفها الوطنيّة والعروبية والتقدّمية طوال مسيرتها الفنية وحتى يوم رحيلها في السابع من مايو/أيار الحالي، سيّما الداعمة لنضال الشعوب، وشعبنا الفلسطيني على وجه الخصوص في مسيرته النضالية.

« الهدف»، اقتربت ممن اقتربوا من المُناضلة توفيق لنعرّف عنها وعن مواقفها أكثر، تقول الفنانة التشكيلية الفلسطينية لطيفة يوسف أن «مُحسنة لم تكن نجمة عادية، كما الكثير من الفنانين في زمنها والآن، بل هي المناضلة اليسارية التي حافظت على مبادئها وأفكارها مع رفاق يجلونها ويساندوها في مواقفها الوطنية والقومية».

يوسف خلال حديثها لـ«الهدف»، أكّدت أن الراحلة توفيق «حرصت أن توفق بين مبادئها وأفكارها وعملها في المجال الفني، ونجحت في ذلك كفنانة دراما تلفزيونية وممثلة مميزة في أفلام مهمة في السينما المصرية، وبين فكرها اليساري المنحاز للعدالة الاجتماعية والمساواة والصدق والإنسان والوطن مثل: فيلم العصفور وغالبية أفلام يوسف شاهين التي شاركت فيها، وفي الدراما الكثير على سبيل المثال لا الحصر دراما ليالي الحلمية».

وتابعت الفنانة لطيفة «كانت مواقفها الوطنية والقومية واضحة في دعمها ووقوفها مع الثورة الفلسطينية وضد اتفاقية كامب ديفيد ونهج الرئيس السادات، حيث من الصعب على المرء أن

يفرق بينها وبين أي شخصية وطنية فلسطينية عارضت نهج السادات التسووي، بل كانت أكثر جرأة وهي تعارضه من داخل مصر وقد كانت معرضة للسجن بالطبع، ودفعت ثمن ذلك بإقصائها فترة عن عملها الفني الذي تحبه».

«كذلك وقفت بقوة ضد الحصار على العراق ومن ثم الحرب عليه واحتلاله، وكانت واضحة في عدائها للولايات المتحدة الأمريكية والغطرسة الاستعمارية الغربية»، تكمل الفنانة لطيفة، ثم تُضيف «يسجل إلى جانب الكثير من المواقف المشهودة لها، مناصرتها وتواجدها مع مجموعة من الفنانين المصريين المناصرين والداعمين للثورة الفلسطينية، إلى جانب شعبنا الفلسطيني في بيروت أثناء اجتياح لبنان **1982**، وتقاسم الحصار والعدوان معه، وأيضًا الارتحال مع قوات الثورة الفلسطينية بعد الخروج من بيروت إلى عدن فترة وجود الرئيس عبد الفتاح إسماعيل واستضافته لكوادر الثورة الفلسطينية. ولم تبخل بإظهار مشاعرها وانصهارها مع حقوق شعبنا الفلسطيني في الحرية والعودة والاستقلال».

وتتابع لطيفة للهدف «لقد تشرفت أن شاركتها بندوة أثناء الانتفاضة بدعوة من ورشة الزيتون في مصر، وعلى الجانب الإنساني، عُرفت بِرِقَتها ودماثة خلقها جعلت كل من يَتعامل معها يحترمها ويحبها»، خاتمةً بالتأكيد على أن الفنانة مُحسنة رحلت «دون أن تغير أفكارها وقناعاتها وتوجهاتها».

الناقد المسرحي والسينمائي المصري محمد الروبي، الذي حاورته «الهدف»، أكّد أن «رحيل الفنانة مُحسنة خسارة كبيرة للسينما والمسرح في الوطن العربي، فهي القامة الكبيرة التي شاركت في شبابها في نهضة المسرح المصري مع كبار المخرجين المصريين، وكذلك لها عدد من الأدوار المتميزة في أفلام سينمائية تعد من العلامات في السينما المصرية».

«استحقت مُحسنة عن جدارة لقب «بهية الفن العربي» لما حققته شخصية

(بهية) في فيلم يوسف شاهين «العصفور» من تأثير، ولارتباط هذه الشخصية في أذهان المصريين والعرب بمعنى المقاومة ورفض الهزيمة، وما زالت كلمتها الصرخة «ها نحارب» التي أطلقتها في نهاية الفيلم عنوانًا للإصرار على رفض كل هزيمة»، يُتابع الروبي.

رحلت الفنانة مُحسنة، لكن هل ما زالت «بهية» على قيد الحياة؟

يُجيب الناقد المصري وهو رئيس تحرير جريدة مسرحنا – أول جريدة مخصصة في المسرح في الوطن العربي «بالتأكيد ستظل بهية على قيد الحياة. فبهية لم تكن فقط شخصية درامية في عمل سينمائي، ولكنها صارت أيقونة يستدعيها الناس وقت الأزمات للتدليل على إمكانية الاستمرار، وهي الامتداد الطبيعي لشخصية «إيزيس» في الأسطورة المصرية القديمة، وهي الشخصية التي قدمتها محسنة أيضًا في مسرحية نجيب سرور الشهيرة «منين أجيب ناس» باسم نعيمة في عرض أخرجه مراد منير في أواخر الثمانينيات في مصر؛ كذلك أدوارها المتميزة في أشهر الأعمال الدرامية التلفزيونية ومنها «ليالي الحلمية» للقديرين أسامة أنور عكاشة وإسماعيل عبد الحافظ، حفرت لها مكانًا خاصًا في قلوب المصريين والعرب».

وعن مشوارها السينمائي، حدّثنا الروبي وهو عضو مجلس إدارة المركز القومي للمسرح، «يمكن القول أن مشوار محسنة توفيق الفني (المسرحي والسينمائي والتلفزيوني والإذاعي) هو مشوار لمسيرة هذه الفنون ازدهارٌ وانكسارٌ، فبدأت محسنة مع نهضة المسرح المسرحي في ستينيات القرن الماضي، وتوارت عن الأنظار رافضة المُشاركة في أعمال رأتها لا تليق بتصورها عن دور وطبيعة الفن منذ السبعينيات باستثناء أعمال قليلة، رأت فيها ما يحقق ما تتصوره عن الفن باعتباره طليعة المجتمع والسراج الهادي لنهضته؛ لذلك حين قدمت دورها الصغير مساحة الكبير معنى في «العصفور» كانت تعطي درسًا لكيف يُعبر الفن عن آمال وآلام الشعوب».

وأوضح أنه «لم يذكر لمُحسنة أن شاركت في عمل يُكرس ليأس أو يدعو إلى احباط، بل يذكر لها التاريخ أنها رفضت العمل مع كبار الكتاب والمخرجين لما رأت في مواقفهم ما يتناقض مع ما تؤمن به. لكل هذا وضعها المشاهد المصري والعربي في مكانة خاصة جدًا واستحقت عن جدارة لقبها «بهية»، ليس فقط لارتباط الاسم بالدور ولكن لما يعنيه الاسم عند المصريين من معنى يوازي مصر «مصر يما يا بهية».

وعن سؤالنا حول العلاقة بين الفنان ومواقفه السياسية، شدّد الروبي على أنه «لا يمكن فصل الموقف السياسي الذي يختاره الفنان عن شخصيته، فالموقف هو الذي يتحكم في اختيارات الفنان، ومن ثم هو ما يحوله من مجرد «مشخصاتي» يؤدى أدوارًا تفرض عليه، إلى «فنان» لا يختار إلا ما يتوافق وقناعاته. هذا الاختيار قد يكلف صاحبه الكثير إلا أن الفنان الحق، ومحسنة نموذجًا، هو من لا يتنازل عن مبادئه أو مواقفه السياسية من أجل شهرة أو حتى استمرار بمنطق «أكل العيش». فمحسنة لم تكن فقط ممثلة تقوم بلعب عدد من الأدوار، لكنها كانت صاحبة موقف، دفعت مقابله الكثير سواء سجنًا أو استبعادًا، ولكنها عاشت وستظل رمزًا لمعنى أن يُعطى الفنان بصدق فيحصل من متابعيه على حبٍ صادق».

كيف يكون الوفاء للعظماء ؟

«الوفاء أو التكريم الحقيقي هو النابع من الجمهور، وقد حصلت عليه محسنة ولم تزل. أما التكريم الرسمي فهو أمر مرهون بموقف المؤسسة الرسمية، وهي غالبًا ما تضطر للخضوع لإعلان تكريم فنان يختلف معها استرضاءً للجمهور، خاصة بعد رحيل هذا الفنان. أؤكّد أن أعظم تكريم هو الذي يأتى من الشعب الذي صدَّق هذا الفنان وصدَق معه الفنان، وهو ما رأيناه في جنازة مُحسنة»، أجاب الناقد الروبي.

الراحلة مُحسنة توفيق أثرت الدراما والسينما والإذاعة المصرية من خلال 0 عمل فني، وكُرّمت في فبراير/شباط الماضي عن أعمالها في مهرجان أسوان

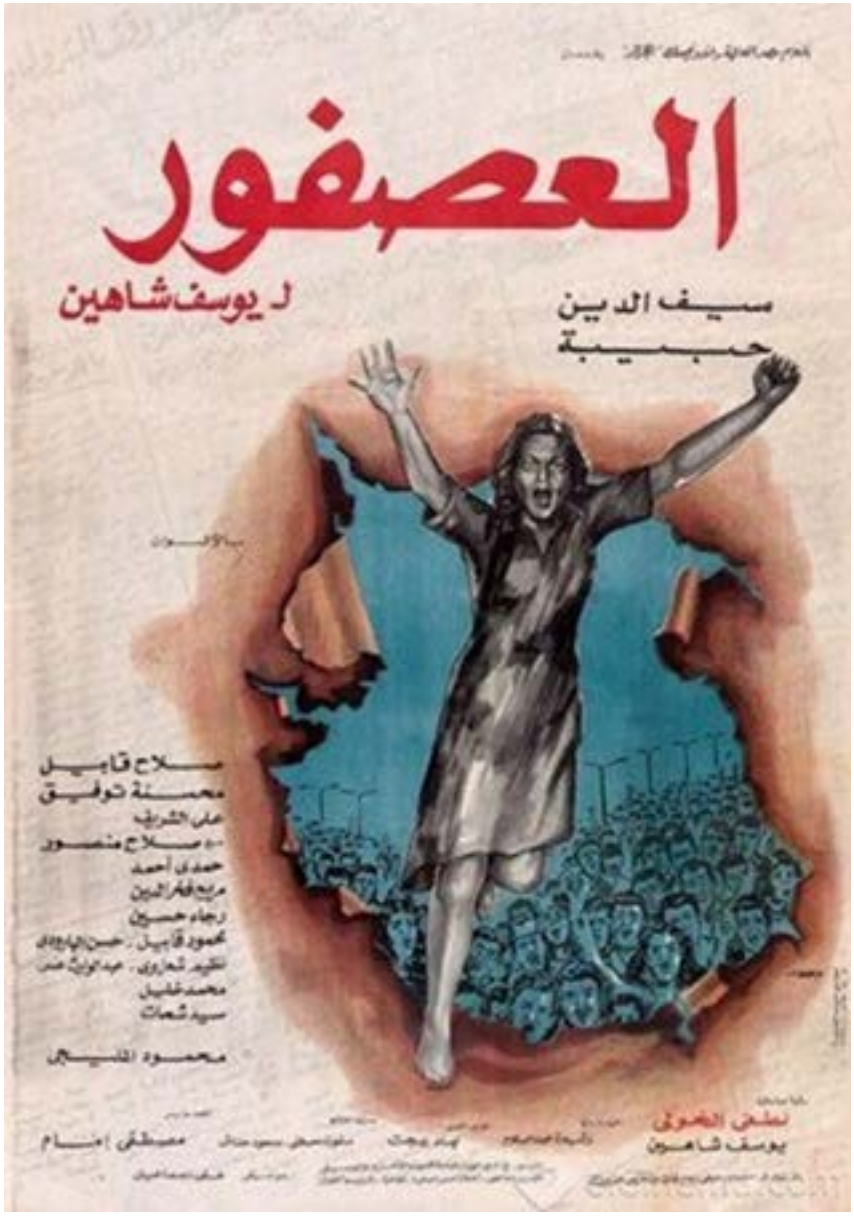


السينمائي في دورته الثالثة لسينما المرأة.

الكاتب والروائي حسين البدري وافق الروبي بأن «محسنة توفيق أول من حملت لقب «بهية» الاسم الذي يرمز إلى مصر بحضورها البهي في التاريخ في ذورة انكسار الحلم الناصري بعد هزيمة 1967».

وقال البدري خلال مقابلة مع «الهدف»، أن مُحسنة رحلت بهدوء في ظل مأزق وجودي يعيشه المشروع العربي، صرختها في العصفور «هنحارب»، اختزلت مقاومة المصريين بعد النكسة، وكانت بشارة العبور العظيم وتحطيم الأسطورة المزيفة لجيش الاحتلال الصهيوني، فهي عنوانٌ لزمن يبدو بعيدًا وجميلًا مقارنة بواقعنا الراهن، بطلة من طراز خاص، تجيد اختيار الشريط السينمائي والدرامي الذي تطل على المشاهد من خلاله ويحمل الهم الإنساني وخيارها في الانحياز إلى قيم جمالية ملهمة، «العصفور»، «ليالي الحلمية»، «قلب الليل»، «إسكندرية ليه ؟» وغيرها.

كما أكَّد البدري على أن «الفن المصري فقد واحدة من أهم صانعي وجدان الشعب عبر العقود الأخيرة، الفنانة حاملة هموم وطموح شعبها بامتياز، لقب تستحقه الراحلة بجدارة، في زمن عز فيه الفن الجاد».

# من فعاليات ذكرى النكبة

# لن نستسلم..

أحمد م.جابر

كما كل عام، يحيي شعبنا ذكرى مأساته –نكبته- عام 1948، وكما في كل عام، يبقى الطموح قائمًا بتجاوزها واستعادة مجرى التاريخ الطبيعي الذي انحرف بقوة الإرهاب الصهيوني وعنف همجية الاحتلال.
كان حدثًا وحشيًا تمامًا، لا يمكن المجادلة في هذا، ولكن إلى همجية العدو وجرائمه، لايمكن تجاهل الخيانة وطعن هذا الشعب في ظهره وتركه وحيدًا في مواجهة العدو.
وأيضا لا يمكن تجاهل العجز والقصور، والفقر والاستلاب الذي عاشه هذا الشعب دون أن يرتاح، خارجًا من ربقة الاحتلال التركي، إلى نير المستعمر البريطاني، الذي سلم فلسطين وشعبها إلى العصابات الصهيونية.
لم يتسن لشعبنا أن يلتقط أنفاسه طوال مائة عام، كان عليه أن يستمر في القتال ويواصل الصمود رغم كل شيء، وهذا ما جعله شعبًا تاريخيًا في سجل البطولة والتضحية، لم ييأس ولم يستسلم ولم يهن في طلب حقه.
علينا في تذكر النكبة أن نواصل الجهد لفهمها وتجاوز أسبابها تمهيدًا لانتصار متحقق لا بد أن يأتي في نبوءة لا يمكن دحضها، كتبت بدماء آلاف الشهداء، ومعاناة الأسرى، وعرق الفدائيين، ووجع الأمهات.
(إن) شعبنا المصلوب يأبى الموت، ويواصل اليوم مواجهة المزيد من القهر الاحتلالي، وخيانة الأخوة وتعنت المجتمع الدولي وتنكره لحقوقه، ولكن هذا كله لا يدفع به إلا إلى مزيد من القتال، وهو الشيء الصحيح الوحيد الذي يجب أن يفعله ، أن يقاتل ويقاتل، حتى تتحقق النبوءة، نبوءة اقتلاع أوتاد خيامنا وجعلها رماحًا في صدور أعدائنا، وهذا يوم سنراه كما رأينا دم عبد القادر مسفوحًا على تلال القسطل، وكما رأينا روحي أبو جلدة والعرميط، وأرواح جمجوم والزير وحجازي وهي تحلق عاليًا فوق أعواد المشانق، نراه يقينًا كما رأينا دم الباسل ينهض ليقاتل، وكما شهدنا استبسال معتز في متراسه الأخير، وكما شهدنا أحمد جرار وأشرف نعالوة وعمر أبو ليلى وهم يواصلون القتال حتى الرصاصة الأخيرة.
سننتصر، وسنلقي بكل هذا العتم إلى النسيان، وسنتغلب يقينًا على عدونا وعلى من يخوننا جهارًا نهارًا وعلى عجزنا واستكانتنا المارقة..
ولن نستسلم

AL-HADAF الهدف